




KÖPRÜLÜ KÜT.
353

Toft [illegible] II



فصل هو واما الشجاعه
٤٩



والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على مايكره فصل ٣٨
واما الجود والسخاء والسماحة فصل ٣٩ واما الشجاعة
والنجدة فصل ٤٠ واما الحياء والاغضاء فصل ٤١ واما
حسن عشرته وادبه وبسط خلقه ع م فصل ٤٣ واما الشفقة
والرأفة والرحمة لجميع الخلق فصل ٤٤ واما خلقه في الوفاء
وحسن العهد وصلة الرحم فصل ٤٥ واما تواضعه ع م
فصل ٤٦ واما عدله ع م وامانته وعفته وصدق لهجته
فصل ٤٨ واما وقاره ع م وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
فصل ٤٩ واما زهده في الدنيا فصل ٥٠ واما خوفه ربه وطاعته
له فصل ٥٠ في بيان صفات سائر الانبياء من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق فصل ٥٤ في ذكر حديث
الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمايله واوصافه ع م كثيرا
فصل ٥٧ في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله الباب
الثالث من القسم الاول فيما ورد من صحيح الاخبار بعظيم
قدره عند ربه وفيه فصول فصل ٥٩ فيما ورد من ذكر

مكانته

٢

مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب فصل ٦٣ في تفضيله بما تضمنته
كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج
به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فصل ٧٠ في ابطال حجج من قال انها رؤيا نوم فصل ٧١
واما رؤيته ع م لربه عز وجل فصل ٧٤ واما ما ورد
في هذه القصة من مناجاته ع م لله وكلامه فصل ٧٥
واما ما ورد في حديث الاسراء من الدنو والقرب فصل ٧٦
في ذكر تفضيله ع م في القيمة بخصوص الكرامة فصل ٧٨
في تفضيله بالمحبة والخلة فصل ٨٠ في تفضيله بالشفاعة
والمقام المحمود فصل ٨٤ في تفضيله في الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة فصل ٨٥ في بيان معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل فصل ٨٧ في اسمائه ع م وما تضمنته
من فضيلته فصل ٩٠ في تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمائه الحسنى

واما رؤيته ع م لربه عز وجل
واما ما ورد ... من مناجاته
وكلامه ٧٥

فصل

الشفا بتعريف حقوق المصطفى

برسم خزانة المقر الكريم
الحسيبي النسيبي الشريفي علي
ابن السيد بركات صاحب
مكة

صلى الله عليه وسلم

[illegible]

تفضل بتملكه وانسلاكه في ملكه
الفقير إلى ربه المتعالي فضيل بن
علي الجمالي بثمن قدره خمسون وأربعمائة مصر

أعاره بركات
مصطفى
أعاده كرمان للعبد الفقير مصطفى
بطريق الهبة مرحباً بمقرب الحضرة
العلية الخاقانية تحوي محصي
داود آغا أعطاه الله ما تمنا
في سنة ٩٩٦

وانتظم بعدهما رحمهما الله تعالى رحمة
واسعة في سلك ملك العبد الفقير إلى رحمة
الله العلي الكبير ذي الفضل والمعالي
عبد الباقي بن محمد بن جمال الدين بن علي الحاجب
ابتاعه بثمن قدره أربعمائة درهم بمدينة
مصر المحروسة ... ٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم ثقتي بالله

قال الفقيه القاضي الإمام ابو الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما أما بعد

أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف لأوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة



بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال وأبينه بتنزيل صور وأمثال

فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه ومعرفة

النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه
الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا
ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتسديد لكني لما
رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ليستيقن الذين
أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما أخذ الله على الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن
أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر
النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن محمد بن بكر حدثنا سليمان
ابن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيمة فبادرت إلى نكت مسفرة عن
وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما

المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي
ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل
سفل ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا
أو يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده
أو يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع
استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى
ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حضره وتحصيله ترجمته
بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في أقسام
أربعة



القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في أربعة أبواب الباب الأول في ثنائه تعالى
عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب
الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل

الدينية والدنيوية فيه نسقا • وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته • وما خصه به في الدارين من كرامته • وفيه
اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه
من الآيات والمعجزات • وشرفه به من الخصائص والكرامات • وفيه ثلثون
فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الانام • من حقوقه عليه الصلاة والسلام • ويترتب
القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به
ووجوب طاعته • واتباع سنته • وفيه خمسة فصول الباب
الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم امره • ولزوم توقيره وبره • وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك
وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه • وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه • وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب • ولباب ثمرة من

الابواب • وما قبله كالقواعد والتمهيدات • والدلائل على ما نورده فيه
من النكت البينات • وهو الحاكم على ما بعده • والمنجز من غرض هذا التأليف
وعده • وعند التقصي لموعده • والتفصي من عهدته • يشرق صدر
العدو اللعين • ويشرق قلب المؤمن باليقين • وتملأ انواره جوانح صدره
ويقدر العاقل النبي حق قدره • ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية • وما يجوز طروه
عليه من الاعراض البشرية • وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم
الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه
سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة
عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه
تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر

الكلام فيه في خمسة فصول، وبتمامها ينجز الكتاب، وتتم الأقسام
والأبواب، ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة، وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس، وتوضح كل تخمين وحدس، وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين، وبالله تعالى لا إله سواه أستعين
لا إله إلا هو الملك الحق المبين

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولاً وفعلاً

قال القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا
من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام
وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه
من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى
في كتابه، ونبه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحض
العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى
ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل
بدءا وعودا والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم
وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة

والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة، والبراهين
الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه
وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره
علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا. حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد
الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا
أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب قال حدثنا أبو عيسى بن سورة
الحافظ قال حدثنا إسحق بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به
ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد
أكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه صلى الله عليه وسلم
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه
وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه
وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول فيما جاء من ذلك

مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم
الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى أعلم الله تعالى المؤمنين
او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه
منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه
نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في
دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم
أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى
لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفي الآية
الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية وقوله كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي

علي

قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا صح

عليه السلام في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في
آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله
عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من
خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة وألبسه من نعته
الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال
تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين الله
محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله يقول وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام
حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال إذا أراد الله رحمة بأمة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس

هو رحمة للمؤمنين وللكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم
المكذبة وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله
عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي
عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك
إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله
تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره أي نور محمد وقال سهل بن
عبد الله المعنى الله هادي أهل السموات ثم قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا
في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
أي من نور إبراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء
أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في
القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور

وكتاب مبين وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى
الله بإذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك
إلى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس
شرحه بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما
وعلما وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة
وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل ظهرك من الرسالة حتى
بلغتها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة
وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل
في الأذان قال القاضي أبو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة

أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة
رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله روى
أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال
إن ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم
قال إذا ذكرت ذكرت معي • قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكري
معك • وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال
جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية
وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة • ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ أبو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه
قال حدثنا أبو عمر النمري قال حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا

أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجزي قال حدثنا أبو الوليد الطيالسي
قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في
تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك • ومثله الحديث الآخر
أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب
القوم أنت قم قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف
على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه قال ومن
يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما • وقد اختلف المفسرون
وأصحاب المعاني في قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة
التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي

فقد غوى

وملائكته يصلون • وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله • وقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي
انه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته
بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال ابو العالية
والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار
اهل بيته واصحابه رضي الله عنهم حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد • وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله فقد
استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل الاسلام

وقيل شهادة التوحيد • وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمت
الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم • وقال تعالى والذي
جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين
على ان الذي جا بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ صدق بالتخفيف • وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله
تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم •

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة، وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى
له صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف
من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من
خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا
الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن
عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي

قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا
البخاري قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن
يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا
صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب
له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة
واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة

واهواء

واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية
وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي
ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو
كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا
برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن
القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا وقوله وسطا اي عدولا خيارا ومعنى هذه الاية
وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل

إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم
ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم
والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا
أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم
صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم. وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم
بنبيهم. وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه
السلمي.

الفصل الثالث في ما ورد في خطابه

إياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله
وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال
له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب. ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون
معرفة غايته نياط القلب. قال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله
عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم
أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن
لهم. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروض الآداب
الدينية والدنيوية. وليتأمل هذه الملاطفة في السؤال من رب الأرباب
المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ
بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب.
وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. قال بعض
المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلم

قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بإثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه
وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته
ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
الآية **قال** علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه
وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك
الآية **وروي** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل
فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله الآية
ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام وإلطافه
في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال
تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن

قبله ووعده النصر بقوله سبحانه ولقد كذبت رسل من قبلك الآية
فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا **وقال** الفراء والكسائي
لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب **ومما ذكر** من خصائصه وبر
الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح
يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول
يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون
اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه
وسلم وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال **ومعناه**
وبقائك يا محمد وقيل وعيشك يا محمد وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف **قال ابن عباس** ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا
أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء
ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده ٥
وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال

فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة
اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
يس يا انسان اراد محمدا وقال قوم هو قسم وهو من اسماء الله وقال الزجاج
قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد
وعن كعب قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمائه صلى الله عليه
وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف
القسم الاخر عليه وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه
الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن
الحق قال النقاش لم يقسم الله لاحد من انبيايه بالرسالة الا له وفيه من
تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد
ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به
اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به

يس ع

في كتابه ع

يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هولا
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين
قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما
ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شا الله اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل
والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل
معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل
القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه
محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا

وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم
قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله
تعالى والفجر وليال عشر محمد لانه منه تفجر الايمان ○

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل
تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي الامام ابو الفضل
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه
الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما
ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند
الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين

والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه
الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس في القرآن
آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار
الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته
الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه الله تعالى
بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه
اليه وقيل آواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك
فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من
التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر
ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال
هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم

الثاقب إن النجم هنا أيضاً محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي • تضمنت
هذه الآيات من فضله وشرفه العِدّ ما يقف دونه العدّ • وأقسم جل اسمه على
هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى • وصدقه فيما تلاه وأنه وحي يوحى وأنه
أوصله إليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى • ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى • وتصديق بصره فيما رأى • وأنه رأى من
آيات ربه الكبرى • وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الإسراء • ولما كان ما كاشفه
عليه السلام من ذلك الجبروت • وشاهده من عجائب الملكوت • لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل أدناه العقول • رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على
التعظيم فقال فأوحى إلى عبده ما أوحى • وهذا النوع من الكلام يسميه أهل
النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز • وقال تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى • انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى • وتاهت
الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل واشتملت
هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد
ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى

سماع ٤

وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم • لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله • ذي قوة
على تبليغ ما حمّله من الوحي • مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده •
مطاع ثمّ أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا له وقال غيره
هو جبريل فترجع الأوصاف إليه • ولقد رآه يعني محمداً قيل رأى ربه وقيل رأى
جبريل في صورته • وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما
هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال
تعالى ن والقلم الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسناً خطابه
ما أنت بنعمة ربك بمجنون • وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات
الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا
يأخذه عدّ ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجراً غير ممنون ثم أثنى عليه بما
منحه من هباته وهداه إليه وأكّد ذلك تتميماً للتمجيد بحرفي التوكيد
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم

وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه
إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما
وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا
تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له
أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان
مجده

الفصل الثامن فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام

قال الله تعالى
طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام وقيل
هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية

عن

عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة وهو قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة
ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ قال حدثنا أبو محمد الحموي قال حدثنا
إبراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر
عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الآية
ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه
عليه السلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط
الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية
فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة

وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر
وهوّن عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن
قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون
عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم
وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب
نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي
في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى
بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى ●

الفصل السابع
في ما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته

على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي
استخص الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما
ذكر في هذه الآية، قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً إلا

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به و
لتنصرنه قال أأقررتم و
أخذتم على ذلكم إصري
قالوا أقررنا قال فاشهدوا
وأنا معكم من الشاهدين

ذكر له محمداً صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه
ليؤمنن به، وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى
ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك
على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد
قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال إنا
أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك الله آخر الأنبياء وذكرك
في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا
أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدماً هنا قبل نوح وغيره، قال السمرقندي

في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه بعثه إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي يا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد أي أن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلم

الفصل الثامن في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر

المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضاً تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الفضل ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب المروزي قال حدثنا أبو عيسى الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن نمير عن إسمعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي

قال المزي في أطرافه عباد بن يوسف وقيل ابن سعيد والصحيح عباد ش

الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
ثم أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله
رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة والبركة وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
أن الكاف من كافٍ أي كفاية الله تعالى لنبيه قال أليس الله بكافٍ عبده والهاء
هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده قال أيدك بنصره
والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال إن الله
وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر
وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره •

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت
هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه
ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه • فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه
له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه

وسنذكر حكم الصلاة عليه

مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع
وما لم يقع أي إنك مغفور لك • وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل • ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم
البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة
والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة
التي جعلها الله في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم
والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته
وسوء منقلبهم • ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد
محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له
من الله الحسنى ويعزروه أي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه
ويوقروه أي يعظموه وقرأ بعضهم يعززوه بزاءين من العز والأكثر والأظهر

ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى
الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم
مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام
النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة
الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم
بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى
ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه
وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة
الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة
قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في
الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد
يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي

بالحقيقة هو الله عز وجل وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في الاية الاخرى
انها على المجاز العرفي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان
منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه صلى الله عليه وسلم ومكانته عنده وما خصه به من ذلك

سوى ما انتظم في ما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء
في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك
من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه
وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة

ابن مالك حسب ما ذكر اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة
ومنه قوله تعالى إنا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الابتر
اعلمه الله عز وجل بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير
الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك هو الابتر اي عدوك
ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور
الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار
وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن
مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم
وذخرها له دون الانبياء وسمى القرآن مثاني لان القصص تثنى وقيل السبع
المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الآية وقال تعالى
وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس

إني رسول الله اليكم جميعا الآية قال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما
ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى
الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس
وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم
ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار
الواسطي إلى انها اشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم

الباب الثاني

في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في

البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين
ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل **فاما
الضروري** فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته
من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم
ارضه ويلحق به ما تدعو ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخر بالاخروية
اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة **واما المكتسبة الاخروية** فسائر
الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء
والمروة والصمت والتودة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة
واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في
الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه

المحض

لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله
وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها
كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في
موجب حسنها وتفضيلها ○ **فصل** اذا كانت خصال الكمال
والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان
اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قد اجتمعت
فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب
ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم
وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة العالمين واعطاء الرضا والسول

والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد
بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية
الأمة والدعاء الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الإصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير
القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع
على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى
ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره
الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم ●

فصل

ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا ● شوقني الى ان
اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا ● فاعلم نور الله قلبي وقلبك

وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال
الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء
ابن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد
وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر
اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر
عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب
الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه

أحسن الناس عنقا. ليس بمطهم ولا مكلثم. متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد
في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحسنه من قريب. وفي حديث
ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه
في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته
لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث في بسط صفته
مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها. وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة
بما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب. وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هنالك إن شاء الله. **فصل** وأما نظافة جسمه
وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه
الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا

ابو العباس

ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفين قال
حدثنا مسلم بن قتيبة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت
عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا
وريحا كأنما اخرجها من جونة عطار. قال غيره مسها بطيب او لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها. ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس
فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا
عرف انه سلكه من طيبه. وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت
رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره
وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم
وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين

وروى الحربي عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفي فكان ينم علي مسكا

منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن
الصباغ في شامله • وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من
تفاريع الشافعية • وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه
وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا
ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب سنان بن مالك دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله
عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير
دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم
ينكر عليه • وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده
وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام
ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه

وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانه
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم
في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن عائشة رضي الله عنها
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه
اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا
طمست عيناه • وفي حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام
حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان
صلى الله عليه وسلم محفوظا • **فصل** واما وفور عقله
وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله
فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق
وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره
فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول
بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقرير لتحققه • وقد قال وهب بن منبه

قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا • وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في
جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمال الدنيا وقال
مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يرى من خلفه
كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين • وفي الموطا
عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين
وعن عائشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات
اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في
رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى
عليه وبيت المقدس حتى وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي
عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره • وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه

ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصائصهم كما اخبرنا ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل من كتابه قال حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني قال
حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال
حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام قال حدثنا الحسن عن قتادة عن
يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء
والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
وكان اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما
ينحط من صبب • فصل واما فصاحة اللسان

التقلع رفع الرجل بقوة ه

وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع
ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم
وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ٥
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه
في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي ٥
والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تأكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم
في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك
له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا

ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن
الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة
ومن أبى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة
والأرواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك
وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة ٥
واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في
الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال
أين هذا من كتابه لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا
الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر
وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان
المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم أسلم يؤتك
الله أجرك مرتين وإن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم
أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الأمهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الأمور أوساطها وقوله أحبب حبيبك
هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة

وقوله في بعض دعائه اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري
وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني
أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء
إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها
غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس
ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره
في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني
حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني
وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني
من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في وصفها له

حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير
الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم • فصل وأما
شرف نسبه وكرم بلده ومنشأه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل
عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها
وأفضل العرب وأعزها نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله
على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله
قال حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد
قال حدثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف قال
حدثنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن
العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من

ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه
فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب
فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض
العرب فببغضي أبغضهم وعن ابن عباس أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى
قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما
خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في
صلب إبرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة
حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط • ويشهد بصحة هذا الخبر
شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور • فصل
وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب
ضرب الفضل في قلته • وضرب الفضل في كثرته • وضرب تختلف الأحوال فيه

فاما التمدح والكمال بقلتهما اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة
وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع
وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد
مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار
العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته
وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي
الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني قال حدثنا
ابو نعيم الحافظ قال حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معوية

ابن

ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفين الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة
رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في
اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم
اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد
بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به
فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية
وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع

الصحاح خثرت نفسه بالفتح اي اختلطت وقوم خثارى الانفس وخاثر النفس اي مختلطون وقال ابن الاثير في حديث اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاثر النفس اي ثقيل النفس غير طيب ولا نشط

الفسولة بالضم الرذولة يقال فسل بالضم فسالة وفسولة فهو فسل اي رذل

الضفف فسره القاضي بكثرة الايدي وهو قول الخليل وفسره ابو زيد بالضيق والشدة وقال الاصمعي ان يكون الاكلة اكثر من الطعام

وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء
هو التمكن للأكل والتقعد في الجلوس كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه
صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الأخبار الصحيحة ومع ذلك فقد
قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا
على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهدأ للقلب وما يتعلق به من الأعضاء
الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول
وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته

والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه
دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة
والتمادح به سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس

أفضل

أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من
قمع الشهوة وغض البصر التي نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا
طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في
الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري
كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت فكيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام قد أثنى الله عليه أنه كان
حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما يعد فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور
ليس كما قال بعضهم أنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء وإنما معناه
أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من
الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة

على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها
شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله
عليه وسلم التي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ
دنياه وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه
لما ذكر من النساء والطيب التي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه
ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه
ومناجاته • ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن • وزاد فضيلة بالقيام بهن
وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله

وعن طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم
على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب

عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
قال انس وكنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلثين في الجماع
وروى نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة
على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمن
ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره
سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من
عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة • وقد نبه على ذلك في
الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه
عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب • وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر
لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع
مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره

وقضوا حاجته واخبارُه في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يَبهت
ويُغرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قَيْلة انها لما رأته ارعدت من الفر
فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين
يديه فأرعد فقال هوّن عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمرٌ هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيّد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم بأسره

فصل فأما الضرب الثالث

فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة
المال فصاحبه على الجملة معظَّم عند العامة لاعتقادها توصّله به إلى حاجاته
وتمكّن أغراضه بسببه وإلّا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقًا له في مهمّاته ومهمات من اعتراه وأمّله وتصريفه في مواضعه
مشتريًا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند
أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكًا
له غير موجّهه وجوهه حريصًا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في
صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوّة رذيلة البخل ومذمّة
النذالة فإذًا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضّله ليست لنفسه وإنما هو
للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه
ولا وجّهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند أحد
من العقلاء بل هو فقير أبدًا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من
المال الموصل لها لم يُسلَّط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه
ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده
من المال شيء فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال
تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل
لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم
فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهمًا بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره
وقوّى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدًا ذهبًا يبيت عندي منه دينار إلا
دينارًا أرصده لديني ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر

وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت صح

الإنافة بكسر الهمزة مصدر أناف على الشيء أشرف عليه وأنافت الدراهم على المائة زادت

من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجد فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضر أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم
يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة
وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس
مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم
الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة
الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة
زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذله في
مظانها • فصل وأما الخصال المكتسبة
من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع
على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه

النقاوة بفتح النون النظافة وبضمها المختارة

من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس
وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت
خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها
حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلم
بعثت لأتمم مكارم الأخلاق • قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس خلقا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله • وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة بل
بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان
وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم
والحكمة في الفطرة • قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون أعطي
يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال
له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله
صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل

صدقه وهو في بطن امه، وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي
يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثنا عشر عاما، وكذلك قصة موسى عليه السلام
مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل، وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا
ابرهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء
اصطفاه قبل ابداء خلقه، وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا، وقيل اوحي الى يوسف
وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب يقول تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم

بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة
بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه
الى الارض رافعا راسه الى السماء، وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت
بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد، ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات
الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء
الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية، دون ممارسة ولا
رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما، وقد نجد
غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليه فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت
او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن

هكذا وقع في كثير من النسخ بزيادة ما للتأكيد

به قال هو الصواب ما استثناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها
ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها

فالعقل الذي ينبعث منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب
الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند
من تتبع مجاري احواله واطراد سيرته وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع
وتاصيل الآداب والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه

السلام

السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل
نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله اياه واطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان ومن عجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • حارت العقول في تقدير فضله عليه
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه •

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر

على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة • واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا

كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف
الآية روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عن
تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك
أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر
على ما أصابك الآية وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا
خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله فإن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى
إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا حدثنا محمد بن عتاب قال حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره قال حدثنا
أبو عيسى قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا
اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه شق ذلك

على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا
ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر
رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت
أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اغفر واهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال
له فقال له ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من
أراد من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله
صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة

فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في
يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن
الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن
معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم
ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا
يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة
عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل
لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده
ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر
تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من

مظلمة ظلمها ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجي اليه برجل فقيل هذا
اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر تأمرني
بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر ان
يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه وذلك انه
كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما
يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف
والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي
عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد
الصعبة منهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال

قال ابن ماكولا في اكماله هو حبر يهودي له ذكر في حديث لعبد الله بن سلام وقال الموردي في تهذيبه هو من احبار اليهود الذين اسلموا احسن اسلامه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي في غزوة تبوك مقبلا الى المدينة واما اسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة سعية والد بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة بعدها مثناة تحتية قال الذهبي في التجريد زيد بن سعنة بالنون اصح واسيد بن سعية بالياء اصح

شانهم وابادة خضرآئهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون انّي
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا
من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم ببطن مكة
وقال لابي سفين وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه
ومثّل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم
ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه
وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخاء

والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد
النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد عليه وهو الجود
وهو ضد التقتير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوارى في هذه الاخلاق

الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي قال حدثنا ابو
ذر الهروي قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي
قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن كثير قال
اخبرنا سفين عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن ابن سهل بن سعد مثله وقال ابن
عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في
شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل
ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد
على هوازن سبيها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا

شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش
إقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده
وكرمه كثير صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل

واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد
فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل
لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب الي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا

ابو محمد الاصيلي قال حدثنا ابو زيد الفقيه قال محمد بن يوسف قال حدثنا
محمد بن اسمعيل قال حدثنا ابن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن ابي
اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء
وابو سفين آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب
وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع
وابو سفين آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ وقال ابن عمر
ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى
العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو

اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع
الناس ولقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على
فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران
ابن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم
فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله
فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول
الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرا
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه

فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما
بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة • **فصل وأما الحيا
والإغضاء** والحيا رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع
كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله • والاغضاء التغافل
عما يكرهه الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي
عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال
حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل
قال حدثنا عبدان قال اخبرنا عبد الله قال اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت
عبد الله مولى انس يحدث عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا
بما يكره حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم

إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما
بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس
أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره
فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق ولا
يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن
التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه
كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام
إليه مما يكره وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه

صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة
قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان أجود الناس وأصدق
الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة حدثنا علي بن مشرف الأنماطي
فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس
قال حدثنا ابن الأعرابي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن

المثنى

المثنى قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير
يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت
وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا
أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن
أبي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته
لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني
الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى
في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد
بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له
وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا
رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له
ثوبه ويوثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز
منهم

فيقطعه

فيقطعه بنهي او قيام ويروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا
خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله
ابن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس
كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم
فيها الماء فما يوتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك

فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق

فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمومنين رووف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من
فضله عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمومنين رووف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله
بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري قال حدثنا
عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابرهيم بن سفين
قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا ابو الطاهر قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا
يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر

حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من
النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال
والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه
لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال
أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه
فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم
قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل
بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما
كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فإني بها أرفق منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم

حيث قال الرجل فقتلتموه دخل النار وروي عنه أنه قال صلى الله عليه
وسلم لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته عليه السلام تخفيفه وتسهيله
عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على أمتي
لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهة
دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة
بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله
عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل
ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة
ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال

بضم المثناة الفوقية وسكون المهملة يقال عنت فلان وأعنته غيره إذا أوقعه في أمر شاق ش

اوخر عن امتي فاحل الله ان يتوب عليهم • قالت عايشة ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين امرين لا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا
وعن عايشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق •

فصل واما خلقه في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم

فحدثنا القاضي ابو عامر
محمد بن اسمعيل بقرائي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد قال حدثنا ابو اسحق
الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود
قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا ابرهيم بن طهمان
عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته
ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه
فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة قالت ما غرت على امراة

ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها
الى خلايلها • واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها • ودخلت عليه امراة
فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان • ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه
من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي
فلان ليسوا باوليائي غير ان لهم رحما سابلها ببلالها • وقد صلى عليه السلام
بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها
وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط
لها رداه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى
قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه

فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه
ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وفي حديث خديجة رضي الله عنها انه قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق **فصل واما تواضعه**
صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك
فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول
من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال حدثنا ابو علي
الحافظ قال حدثنا ابو عمر قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال
حدثنا ابو داود قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا عبد الله بن نمير عن
مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي
امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له

فقال

فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد
آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف
خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس
ان امراة كان في عقلها شي جاته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام
فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعا الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه
قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على

موسى ونحن أحق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن
لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية قال ذاك ابرهيم وسيأتي
الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله وعن عائشة والحسن وأبي
سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من
السوق وعن أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل
فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن
امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة دخلت السوق مع النبي
صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة
قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم
بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله
فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل

وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته

وكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال
ابن إسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقد قال تعالى
مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت
قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل فإذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد
رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء
أمين في الأرض حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل
ابن خيرون قال حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا
محمد بن محبوب المروزي قال حدثنا أبو عيسى الحافظ قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا
معوية بن هشام عن سفين عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى
فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل
إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري

وعن غيرك يسمع كلاما يخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم صادق أم كاذب فقال
أبو جهل والله إن محمدا لصادق • وسأل هرقل عنه أبا سفين فقال هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم
أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر • وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها
وفي حديث علي في وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح
ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان
إثما كان أبعد الناس منه • قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ
نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه
وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع

إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الأكبر
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد
ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به
غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء
حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي
غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت
أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر
فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا
ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء • فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم

وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ
إجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا أبو العباس الدلائي قال أخبرنا أبو ذر الهروي
قال أخبرنا عبد الله الوراق قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا
عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن

عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلسه أوقر الناس لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه **وروى**
أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا **وعن** جابر بن
سمرة أنه ربما تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة • وكان كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل **وكان** ضحكه
تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه
الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم
الطير **وفي صفته** يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب **وفي**
الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل
أي ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم • وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا

لو عده العاد أحصاه **وكان** صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة
ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة • ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ
في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة •

فصل

وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك
من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا **حدثنا**
سفين بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي
قال حدثنا ابن سفين قال حدثنا أبو الحسين بن الحجاج قال حدثنا أبو بكر بن أبي
شيبة قال حدثنا ابن أبي معوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى
لسبيله • وفي رواية من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله

ما لا يخطر ببال. وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله. وقالت عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث ابن الحارث
ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة. قالت عائشة
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال
لي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع
يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي
أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل نزل عليه
فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا
وتكون معك حيث كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء. وعن عبد الرحمن بن عوف هلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير. وعن
عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم

يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء. وعن أنس قال
ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق
ولا رأى شاة سميطا قط. وعن عائشة إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما
حشوه ليف. وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح
قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطأته
منعتني الليلة صلاتي. وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بالشريط حتى
يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن
كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء
سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة
مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو
تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي

نقيض الجوع والشبع بسكون الوسط الاسم

أن تقصر بي غداً دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي
قالت فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفي صلى الله عليه وسلم ○ فصل

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته

فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني
عليه قال حدثنا أبو القاسم الطرابلسي قال حدثنا أبو الحسن القابسي قال حدثنا
أبو زيد المروزي قال حدثنا عبد الله الفربري قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن
أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً ولبكيتم كثيراً ○ زاد في غير روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه
إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها
أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون لوددت أني شجرة تعضد ويروى هذا الكلام
وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه ○ وفي رواية كان يصلي

الجأر رفع الصوت

حتى

حتى ترم قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت
عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان
يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً
إلا رأيته مصلياً ولا نائماً إلا رأيته نائماً ○ وقال عوف بن مالك كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت
معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر
بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم
سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحواً من قيامه
وجلس بين السجدتين نحواً منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن
عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل

الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام إني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة ورُوي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي
والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي ⊙

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل
صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن في هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب
ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال
عليه السلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال

آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون
ذراعا في السماء ⊙ وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب
رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس ⊙ وفي حديث آخر مبطن مثل السيف
قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن
ما أنت راء من أدم الرجال ⊙ وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى ثروة
أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا ⊙ وفي حديث هرقل وسألتك عن
نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها
وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ⊙ وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا ⊙ وقال إن الله يبشرك
بيحيى إلى الصالحين وقال إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران
الآيتين ⊙ وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة

منه آسمه المسيح الى الصالحين • وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت
حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم كان موسى صلى الله عليه وسلم رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جسده شي استحيا الحديث • وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في
وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين • وقال ان خير من استاجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة
من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة • وقال فبشرناه بغلام عليم
وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاهم رسول كريم اني
امين • وقال ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمان نعم العبد انه اواب • وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا
ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب • وقال اجعلني على خزاين الارض
اني حفيظ عليم • وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا وقال وما اريد

ان

ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما • وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفين هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجا من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
نبي ابن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبيا تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة
وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض قال
اخاف ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عليه السلام خفف
على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج
ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات
وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله

وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى
الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما. وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة
ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار. وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما
ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل
ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه
من الهزال. وقال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر
والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم. وقال عيسى عليه السلام
لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
المنطق بسوء قال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله

حتى اتخذ الدمع مجرا في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وكان يأكل في نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما
اكرمه الله به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة. وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة. فلا
نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض الجهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا.

فصل

قد اتينا اكرمك الله
من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع. فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده
الادلاء. وبحر علم خصائصه لا تكدره الدلاء. ولكنا اتينا فيه بالمعروف
مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل
وغيض من فيض. ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة
لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله
ووصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي

الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقرأتي عليه سنة ثمان وخمس مائة
قال حدثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن الحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي
ابن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسين
الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفين بن وكيع قال حدثنا جميع بن
عمر بن عبد الرحمن العجلي املا من كتابه قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن
ابن علي بن ابي طالب رحمة الله قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال
القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسين
ابن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال اجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل
احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم
ابن الحسين بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر
به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن

الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي
قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب
قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر بن محمد
عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا
السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته
فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى
العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل
الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية
في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح
الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين

والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سايل الاطراف او قال شايل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا ويمشي هونا
ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا
خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام **قلت صف لي منطقه**
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم
بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين
يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض للحق بشي حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
بابهامه اليمنى راحة اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي
زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه **فسال اباه** عن مدخل رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين
سالت ابي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه ماذونا له في ذلك وكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزا
جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين
منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ
الشاهد منكم الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره **قال** في حديث سفين بن وكيع يدخلون
روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقها **قلت**
فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه

ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح
القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل
حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم افضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة
ومؤازرة **فسألته عن مجلسه** عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن
وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر
بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه
منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من
سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس علم وحياء
وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
ومن الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين ويوقرون
فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب

فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس
منه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث لا يذم احدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو
ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا
لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث
اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او
قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع **وزاد الاخر** قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما
يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر **وكان** لا يغضبه
شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه

القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأى بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم
امر الدنيا والآخرة • انتهى الوصف بحمد الله وعونه ◦ **فصل**

فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله المشذب اى البائن الطول اى فى نحافة وهو مثل قوله فى الحديث
الآخر ليس بالطويل الممغط • والشعر الرجل الذى كأنه مشط فتكسر
قليلا ليس بسبط ولا جعد • والعقيقة شعر الرأس اراد إن انفرقت من ذات
نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته • والازهر اللون نيّره
وقيل الازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث
الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم
الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب اى فيه حمرة • والحاجب الازج
المقوس الطويل الوافر الشعر • والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه • والاشم
الطويل قصبة الانف • والقرن اتصال شعر الحاجبين وضدهما البلج ووقع فى
حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر
اشكل العين واشهل العين وهو الذى فى بياضها حمرة • والضليع الواسع • والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب

والفلج فرق بين الثنايا • ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر
والسرة • بادن ذو لحم • ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخ
اللحم • والمكلثم القصير الذقن • وسواء البطن والصدر اى مستويهما
ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى
اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى
الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد • والكراديس رؤس العظام وهو مثل
قوله فى الحديث الآخر جليل المشاش والكتد • والمشاش رؤس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين • وشثن الكفين والقدمين لحيمهما • والزندان
عظما الذراعين • وسائل الاطراف اى طويل الاصابع • وذكر ابن
الانبارى انه روى سائل الاطراف وقال سائن بالنون قال وهما بمعنى
تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائن
الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث • ورحب

الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود. خمصان
الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من
وسط القدم. ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس
له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح بن مريم
اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن
القدمين. والتقلع هو رفع الرجل بقوة. والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده
والهون الرفق والوقار. والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع رجليه
فيه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب. وقوله يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم. واشاح
مال وانقبض وحب الغمام البرد. وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة
اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل
يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر للعامة. ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده. ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم

يتعلمونه

يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر. والعتاد
العدة والشيء الحاضر المعد. والموازرة المعاونة. لا يوطن الاماكن
اي لا يتخذ للمصلى موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير
هذا الحديث. وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه. ولا تؤبن فيه
الحرم اي لا يذكرن بسوء. ولا تنثى فلتاته اي يتحدث بها ان لم تكن فلتة
وان كانت من احد سترت. ويرفدون يعينون. والسخاب الكبير الصياح
وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا
من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له. ويستفزه
يستخفه. وفي حديث آخر في صفته منهوس العقب اي قليل لحمها. واهدب
الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين

من كرامته صلى الله عليه وسلم. لا خلاف انه اكرم البشر وسيد
ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى
واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها

ومنتشرها وحصرنا معاني ما وردنا منها في اثني عشر فصلا ◦ الفصل

الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء

ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه في الدنيا من

مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب أخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل

إذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني قال حدثتنا أم القسم بنت ابي بكر

ابن يعقوب عن أبيها قال حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسمعيل

عن يحيى الحماني (نسبة القبيلة) قال حدثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من

خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا

خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا وذلك قوله

أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين

وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك

قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر

ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت الآية ◦ وعن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالوا

يا رسول الله

يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن

واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من

ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني

كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم

ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس

انا اكرم الأولين والآخرين ولا فخر ◦ وعن عائشة عنه عليه السلام

اتاني جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر

رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم ◦ وعن انس ان النبي

صلى الله عليه وسلم أتي ليلة أسري به (بالبراقع) فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد

تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس

عنه عليه السلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في

صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني

في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي

لم يلتقيا على سفاح قط ◦ وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب

رضي الله عنه فيه بقوله ◦ ◦ ◦ ◦ ◦

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

من قبلها طبت في الظلال وفي ۞ مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ۞ انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ۞ الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ۞ اذا مضى عالم بدا طبق

وفي ابيات اخر ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس
وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل
من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة ، وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل
تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع
وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب
على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم
وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في
يدي ، وفي رواية عنه وختم بي النبيون ، وعن عقبة بن عامر انه قال

وقيل بفتح الدال وشد الياء

عليه



عليه السلام اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي
الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان
تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدي الساعة ، ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله
تعالى سل يا محمد فقلت وما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله
تعالى قد اعطيتك خيرا من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي
ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك
لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم
اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول
من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم
حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب

يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا مما شدد

على من قبلنا ولم يجعل في الدين من حرج وعن أبي هريرة عنه عليه السلم علينا

ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر

وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا

يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر

معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجز القرآن

يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا

نخبته وقد بسطنا القول فيه وفي ما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن

علي رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم

صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار ٥

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله

والمؤمنين وإنها لا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن

العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله

وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبرهيم وبشارة عيسى

ابن مريم وعن ابن عباس قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء

كان اسم هذا الفيل محمود ش

وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله قال

لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية وقال لمحمد إنا فتحنا لك فتحا

مبينا الآية قالوا فما فضله على الأنبياء قال إن الله قال وما أرسلنا من رسول

إلا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما أرسلناك إلا كافة للناس وعن

خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول

الله أخبرنا عن نفسك وقد روي عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك

فقال نعم أنا دعوة أبي إبرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى

عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض

الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى

بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال

بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من

نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه واستخرجا منه علقة سوداء

فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول

أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ

إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي

بالضم مدينة حوران وهي أول مدينة فتحت في الشام

روايه ان جبريل قال قلبك وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان
تسمعان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك، وفي بقية
هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث
أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي
وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد
اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رأيت في
كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وفي رواية
الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر وروي عن سريج بن يونس

فرجحهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم

انه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد
إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء إذا على العرش
مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير
عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا
لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد
عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب لا إله إلا أنا محمد رسول الله
لا أعذب من قالها، وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي
مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا
ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر
الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله
محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه اذا كان يوم القيامة
نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة

إني أنا الله ع

يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزق قوله وعنه عليه السلام
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود
ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية
قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي
على نسائكم تفضيلا الحديث

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم قط في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك لهم في مشورتهم رواه جماعة منهم

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية

والامامة بالانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى
ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية
وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة

منها

مستبشع رأينا ان نتعدى كلها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي
ابو عبد الله التميمي وغير واحد عن شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري قال
حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابو سفيان
قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا شيبان بن فروخ قال حدثنا حماد بن سلمة
قال حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره
عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي
يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرج فجاءني جبريل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا
الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما

فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح
لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى
سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت
الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك
فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات

كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه **قال القاضي**
رحمه الله جود ثابت هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب
من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن
ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا
انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال
غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا **وقد روى** ثابت
عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب
مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما
رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال

او همه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن
واجود ٥ وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي
حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت
سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث
مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك فقال رب هذا
غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ٥ وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة

ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع
الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر
كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه بيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا
فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما
تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي

الفراش هو الطائر المعروف الذي يلقي نفسه في ضوء السراج ش

إليها كل أحد من أمتك خلي على سبيلك وهذه السدرة المنتهى يخرج من أصلها
أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان
ورقة منها مظلة الخلق تغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى
السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا
وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت
له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن
والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت
عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من
الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت
أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك
سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي

الرواية

الرواية الأخرى فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات
الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات
وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السماء السابعة قال بتفضيل كلام الله
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي
أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس
وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله تعالى أن يعلم
رسوله صلى الله عليه وسلم الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا وإن هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر فقيل له من
وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله الذي لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في

بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلا[ح]
وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا
الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شا وكيف شا ومتى
شا بقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب
واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملايكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من وراية ان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان الحجاب لم يختص بالذات ويدل
عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
امر الله لا يجاوزها علمهم. واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف
اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما

هو عالم به كما قال تعالى واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء
الحجاب صدق انا اكبر وظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء
حجاب اي وهو لا يراه كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله
عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله اعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث
مقالات فذهبت طايفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم
ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد
الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام
وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا
هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك

ابن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس
والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء
اليه قال هؤلاء ولو كان الاسرا بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون
ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضي** رضي الله عنه
والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو

كان

كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان مناما ما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا
كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال
يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس من رواية
انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجي جبريل عليه السلام له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها
وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك
وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج
بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه
دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين راها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام **وعن الحسن** فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق **وعن ام**
هانئ ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة

صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما
رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
الآن كما ترون وهذا ابين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن
اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها. وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج
سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري وغسله بماء زمزم الى آخر
القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح
عن صدري. وعن ابي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه
ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام
انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها.

فصل

في ابطال حجج من قال انها رؤيا نوم

احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده
لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء
بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب بها احد لان كل احد يرى مثل ذلك
في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين
قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية
وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا. واما قولهم انه قد سماها
في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه
كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما
في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته. ويدل
عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى

ولم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث
ان يكون نومه استيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر، ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض السلف اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا
يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته
بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات، ووجه رابع وهو ان
يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد
بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع **وقوله** في الرواية الاخرى
بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا
وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو
الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة
من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام
وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث انما كان في صغره عليه السلام
والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان

انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن
مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث **واما قول**
عائشة ما فقد جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء
متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقيل
كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس
والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل انها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه
مما وقع في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث
الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد
روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بي النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهنه، بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها منا ما لم تنكره فان قيل فقد قال

تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا
نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد
ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما رأته عينه

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز

فاختلف السلف
فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقراءتي عليه قال حدثنا ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي
يونس بن مغيث قال حدثنا ابو الفضل الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي قال حدثنا محمود بن آدم قال حدثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل
رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك ان محمدا
رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة
بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه قال انما رأى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين

والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه بعينه وروى عطاء عنه
رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق
ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر
عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى
بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله
بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم
رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى
شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر
عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم

الامام الحافظ المزي

المذهب

الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى
محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا عن ابن
مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه
رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول
رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء
في قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى
للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من
أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء
عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه

أن رؤيته تعالى في الدنيا جائز عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل
رؤيتي ثم ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل
قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار باختلاف
التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد
استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو
قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه
التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن
تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال
معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا ليس فيه نص الامتناع وإنما

جاءت في حق موسى وحيث تطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع اليه سبيل ٭ وقوله تبت اليك اي من سوال ما لم تقدره لي ٭ وقد
قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر
الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين
ما معناه ان رويته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متعرضة غرضا للافات والفناء فلم يكن لهم قوة على الروية
فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الروية ٭ وقد رايت نحو هذا لمالك بن
انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى
الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم ٭
وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى

عليه السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا
بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه ٭ وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه
راه وبروية الجبل استدل من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز
ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول
بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم
والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله
عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ٭ ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر
الاخر محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا نوراني وفي حديثه
الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الروية

فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورا منعه
وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله نورا أنّى أراه أي كيف أراه
مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي
الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى
والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره
فإن ورد حديث نص بيّن في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى •

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه
معه بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر
المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن
الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء
وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن عباس وابن مسعود وأنكره آخرون وذكر
النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول

ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد
احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي
دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح
في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك
الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال
في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل
بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه • وكلام الله لمحمد
ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه
فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص
ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد
في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى

ويسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام
فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل وأما ما ورد في حديث الاسراء

من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما
السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي قال
ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب
دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا
من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من
قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف وقرب
لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني
جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج
بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه ما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن

محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين او ادنى وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال محمد بن جعفر
والدنو من الله ما لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية
عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من
المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع
من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى
بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول
فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال
واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة
بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو
للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله
لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المنزلة والاشراف

المعرفة صح

على هذا

على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له، ويتأول
فيه ما يتأول في قوله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن
اتاني يمشي اتيته هرولة اي قربت بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل المأمول ●

فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل
وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجي قال حدثنا ابن محبوب قال
حدثنا الترمذي قال حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي قال حدثنا عبد السلام
ابن حرب عن ليث عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا
ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا
بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا
حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة

واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول
من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن انس انا اول شافع يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة
انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة، وفي حديث
اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي
يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما
عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه

نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم
في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة
دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا
الناس اليه في حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه
احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين
لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم
في الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك
امرت لا افتح لاحد قبلك وعن ابن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب
من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر
نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة

الحجر

والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر
وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله
ابن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله
الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر وابو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جات به الاخبار الصحيحة واختص صلى الله عليه
وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله **اخبرنا** ابو القسم بن ابرهيم الخطيب
وغيره عن كريمة بنت احمد قال حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد
الحافظ سماعا عليه قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا عبد بن احمد
قال حدثنا ابو الهيثم قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن
اسمعيل قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابو عامر قال حدثنا فليح قال حدثنا
ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم

هو ابن عبد الله بن سفيان البجلي

الآثار

هو سالم بن ابي امية المدني

خليلا. وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من
كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر
آدم اصطفاه الله فخرج فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله
اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا
فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع
ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وفي حديث
أبي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا
فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل
اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي
ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار
هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي

ابرهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لأنه قصر حاجته على ربه
وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم
أصل الخلة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد
بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة فإذا تسمية ابرهيم ومحمد
عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع
عن من دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون
غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى

لمن يحبا للنصاحب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه
وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا غير ربي فلم يتخذ وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها
السلام وابنيها واسامة وغيرهم • واكثرهم جعل المحبة ارفع من
الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم **واصل**
المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب
القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي لا ينبغي ان …

ينطق به

منها سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا

في الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت
عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل
الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده
شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان
الله لا يحب الكافرين **وقد نقل** الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام
المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم
الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض

والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل
الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع من قوله والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك الآية والخليل قال لا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله
النبى فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب
قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل
له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفى ما ذكرناه تنبيه
على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا حدثنا الشيخ ابو على الغسانى الجيانى فيما كتب
به الى بخطه قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضى قال حدثنا ابو محمد الاصيلى
قال حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل
قال حدثنا اسمعيل بن ابان قال حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن على قال سمعت

ابن

ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة
الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود
وعن ابى هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هى الشفاعة وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتى
على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان
اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال
فيمشى حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى
وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفى رواية هو المقام الذى اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال
ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابى موسى
عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة

فاخرت الشفاعة لانها اعددتها للمتقين ولكنها للمذنبين
المتلطخين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في
الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله يصدق لسانه قلبه
وعن ام حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي
من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم
قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي
محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا
اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود
الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار والجنة
الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل
الجنة فيسألون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم وكل يعتذر حتى ياتوا محمدا

فيشفع لهم

مخلصا

قالت

فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحو عن ابن مسعود ايضا ومجاهد
وذكر علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال
فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا هو المقام
المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل بعضهم
حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه
ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقولون الا تنظرون الى من يشفع لكم
فيأتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن
الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى

نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله نفسي نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سواله ربه بغير علم وفي
رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الرحمن فياتون ابرهيم فيقولون انت
نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي قد غضب اليوم فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي
لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد
آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي
رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده

بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية يفتح الله من
محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية
ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي
فاقول رب امتي امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليهم من
الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس في ما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي
يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب
امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد
وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل فافعل ثم ارجع وذكر
مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر مثله في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل
تسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في

الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن
اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم
سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث، وفي رواية ابي هريرة
فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس عنه عليه السلام يوضع
للانبياء منابر من نور يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما
بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد
امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا

سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول
من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول
الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل
من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة
ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي
الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم

ح
اعلموا

ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوا يدعون بها على يقين من الاجابة وقد
قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة
دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي
دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية
ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة
ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السول والرغبة جزاه الله احسن ما
جزا نبيا عن امته وصلى عليه وسلم كثيرا • فصل

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة

والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني

قال حدثنا النمري قال حدثنا ابن عبد المومن قال حدثنا ابو بكر التمار
قال حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن سلمة قال حدثنا ابن وهب عن ابن
لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
ابن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة
اعلى درجة في الجنة • وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا
انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته
فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على
الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج • وفي رواية عنه
فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس • وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه

الله اياه • وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي
أعطاه الله وعن حذيفة في ما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر
نهر من الجنة يسيل في حوض وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم •

فصل

فإن قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثنا الاسدي قال
حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا
ابن سفين قال حدثنا مسلم قال حدثنا ابن مثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال
حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى • وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني الله
ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي
اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك

ورسول الله

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء • وفي رواية لا تخيروني على موسى
فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى • وعن ابي هريرة
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب • وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى • وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا
خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تأويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد
كذب وكذلك قوله ولا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا
يسلم من الاعتراض الوجه الثالث الا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون

نظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا له علم حطيطته بذلك ٥

الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
بها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل فيه وانما التفاضل في
زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك
منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من
اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال بعض اهل
العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك ثلاثة احوال ان تكون
آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في
ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته الى ما خصه الله من كرامته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته
واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع

الفتنة

الفتنة من اوهام من ينسبوا اليه بسببها حرج في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى
القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة
ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى
وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد في القسم
الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة
المعترض وبالله التوفيق

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد
ابن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا يحيى بن يحيى
قال حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا
واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره

عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حَمِد وأفضل من حُمِد
وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم
القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته
في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من
عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى
بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى
بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم
إلى أن شاع قبل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى
قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته
وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء
البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي

لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمدا محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد
من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر
عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم
ينازع فيهما وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون
محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك
أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين
كله وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي
أي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من
الأنبياء وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة أسماء قيل
إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم
وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي
وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي
عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث
الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى

قيمت لنبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى
ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد
وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
يقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه
السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء
فيقول انا محمد وانا احمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام
ربه رحمة للعالمين رحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من
عباده الرحماء وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب وقال

الراحم

الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى
الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام
انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير
وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام
وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرنا كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه
واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى
وابي القسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع والمشفع والمتقي والمصلح
والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب

الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة
والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار
ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال
ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب
السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم حكاه كعب
الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والخاتم احسن الانبياء خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد
روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا
في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه
القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفاء
واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم
العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه

والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء
الله •

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها، وامتزاجه بعذب معينها، لكن
لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه، ولا اثار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه، الا عند الخوض في الفصل الذي قبله، فراينا ان
نضيفه اليه ونجمع به شمله، فاعلم اكرمك الله ان الله تبارك وتعالى
خص كثيرا من انبيائه، بكرامة خلعها عليهم من اسمائه، كتسمية اسحق
واسمعيل بعليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم
وقوي امين ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما
نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها
جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر، اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين
ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين، وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما

ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانه ما لم يظهر لنا الان ويفتح علقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله ٭ وشق له من اسمه ليجله ٭ فذو العرش محمود وهذا محمد ٭

ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ٭ ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والاهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته والمبين من الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه اى منور السموات والارض ومنور قلوب المؤمنين

بالهدايه

بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعانى الاسم فى حقه عليه السلام صحيحة ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شى دونه وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم اما لاصلاح الامة بالهداية والتعليم او لقهر اعدائه

أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى تعالى عنه فى القرآن جبرية
التكبر التى لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار **ومن اسمائه تعالى**
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشىء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر قال الله
تعالى فاسأل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبى
صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل
النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله فالنبى خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم
على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما أذن
لهم فى إعلامهم به **ومن اسمائه تعالى** الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح
أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة
الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى إن
تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبى
العالية وغيره عن أبى هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم

الرحمن صح

لمعرفة

لمعرفة الحق والإيمان بالله والناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبتدئ المتقدم
فى الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث
ومن اسمائه تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل وقيل المثنى على المطيعين
ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى
صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أى معترفا بنعم ربى
عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم
ومن اسمائه تعالى فى الحديث العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون **ومن اسمائه**
تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها
وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام كنت أول الأنبياء فى الخلق
وآخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول
من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم

ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك
تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل ومن اسمائه
تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى
انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولى كل مومن وقال الله تعالى النبى
اولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى
توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو
الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقدم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له
وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه والله تعالى مختص
بالمعنى الاول وقال تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى

الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى
واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المومنين وعده ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من
ظلمه والمومنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى
المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين
وشهرته قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا بقوله
ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد
يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القسم القشيرى وقال تعالى يومن بالله ويومن
للمومنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه
تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع في كتب
الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اى المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها

ليس في اسماء الله تعالى اسم ... التنبيه ... الاشتقاق ... الثمرة شرح التهذيب للابهري

كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه
الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله
اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه
تعالى مبشرا ونذيرا او بشيرا اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن
اسمائه تعالى ما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم •

فصل

قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه •
وهو ان تعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه •
وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا

تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو
تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس
كمثله شيء • ولله در من قال من العلماء والعارفين المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات • وزاد هذه
النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا
كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ
اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده
بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو
لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ولا معالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه • وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم وادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي
الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه • ومن اطمان الى النفي

المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في
الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج • وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه
وما تصور في وهمك فالله بخلافه • وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل
الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه • وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه • بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها
ونذكر شروط المعجزات والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده • بل الفناه لاهل ملته • الملبين لدعوته المصدقين لنبوته • ليكون تاكيدا
في محبتهم له ونماء في اعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • ونيتنا ان

نثبت في هذا الباب امهات معجزاته • ومشاهير اياته • لتدل على عظيم قدره
عند ربه • واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد • واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل المنصف ما
قدمناه من جميل اثره • وحميد سيره • وبراعة علمه • ورجاحة عقله وحلمه •
وجملة كماله • وجميع خصاله • وشاهد حاله • وصواب مقاله • لم يمتر في صحة نبوته
وصدق دعوته • وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهما ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن
ابن محبوب عن الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد
ابن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن ابي
اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره
ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه

من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك ابايعك • وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق
فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا
هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى
المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل
فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا
وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى
الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان
اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر
ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي • وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول
يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه ايات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر • وقد ان

ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة ونعدد في معجزات القران وما فيه
من برهان ودلالة •

فصل

اعلم ان الله جل
اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته
وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء
وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز
ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة
اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا
مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم
مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف
والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا
رحمهم الله • والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا يهمز على
هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه



ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان

واما الرسول فهو المرسل ولم يات رسول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارسا له

امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا

الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرار التبليغ او الزمت الامة

اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله

من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول

ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول

الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب

والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة

للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين

الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما

ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول

من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح

والذي عليه الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا **واول** الرسل ادم

واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم **وفي** حديث ابي ذر عنه ان الانبيا ماية الف

واربعة وعشرون الف نبي **وذكر** ان الرسل منهم ثلثماية وثلاثة عشر

اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف

ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل **واما الوحي**

فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت

انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة

يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان

سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة

وقيل اصل الوحي السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين

ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى

اي القي في قلبها • وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

اي يلقيه في قلبه دون واسطة •

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا معجزة هو ان الخلق عجزوا عن

الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم

عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان

بمثل القران على راي بعضهم ونحوه • وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على

الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصى حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام
شجرة ونبع الماء من الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله
فكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي
بمثله تعجيز له واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية
وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو
القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي قد تحدى بسورة
منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله على ما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد في الدنيا وإنما جاء اعتراض
الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه
إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على
الجملة أنه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد

منها

منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع هذا أيضا من نبينا ضرورة لاتفاق
معانيها كما نعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه
لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال
القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه
عليه السلام معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق
كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع
يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه

مطلب

وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة • ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن من
حدث بها من جملة من الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل
المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار
لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون
عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان
ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء
رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم
فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل
لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها
وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا
هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها
الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا • وكذلك اخباره عن الغيوب

وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه
وقد قال بعض ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله **وما عندي**
اوجب قول هذا القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع
الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من
الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام
واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما
في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من
مذاهبهم فضلا عن سواه • وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها
بيانا ان شاء الله تعالى •

فصل في اعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام
كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا
أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به
غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه
على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب
ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد
البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا

البابين

البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها
فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر
في السجع والشعر سجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من
مثله إلى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل
فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه
أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم
وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون
أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر
مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز
منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله
يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله

لمغدق

لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا
يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها
ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما أفصحك فقالت أويعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن
أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع
إعجاز منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلوة والسلم
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها
عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم

في القصاص حيوة وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقوله
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله وقيل يا
أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه
حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حقيقة ما بينته لك من إيجاز ألفاظها
وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل
لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استخرج
منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار
القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان
آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد
كل واحدة منها تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب
الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت
مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع

استفيد خ

مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله
في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه
صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا قال والله
ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره
الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا
لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته
ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول أنه ساحر
فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم إني لم أترك شيئا
إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث مثله وفي حديث إسلام أبي ذر

الكاهن الذي يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ويزعم أن له تابعا

نحوه

ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر
شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق
وإنهم لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز
والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منها نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر
العرب على الإتيان بواحد منها إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز
في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة
وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه **وقد** اختلف
أئمة أهل السنة في وجه عجزهم فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر
وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا **وذهب** الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر

ويتحديهم الله ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن
يكون في مقدور البشر وتحديهم أن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة
وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم والشغل بها أهون عليهم
وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة
في المعرفة لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره
وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما
نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات
وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره

على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان هذا كما قال فغلبت الروم
فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي
بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها
دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت
لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا
على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية
وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار الآية فكان كل ذلك وما فيه من
كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية
وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم

عن

عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبينا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون عنه ويؤذونه
فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله
والاخبار بذلك معروفة صحيحة ● **فصل في الوجه
الرابع** ما انباه به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع
الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي
قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله
عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا
جهل حال احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه
ذلك من الانبياء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى

بما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك
فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن
واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من
ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف
بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في
ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله
الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده • ومتواقح
يلقي على فضيحته من كتابه يده فلم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا

ابدى

ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين •

فصل

هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا
واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان
كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية **قال** ابو اسحق الزجاج في هذه
الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد
منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته **قال** ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد جماعة
منهم ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه
اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية

نجران بفتح النون وسكون الجيم [illegible] النصارى [illegible]

الاساقفة جمع اسقف [illegible] النصارى [illegible]

فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك بان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه
نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا
يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز
ما في التي قبلها

فصل ومنها الروعة

التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا
قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما
المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة
لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل
على ان هذا شي خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن
نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة
قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم

من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ الاية ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون الى
قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة
بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما
حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام
والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن
المقفع طلب ذلك ورامه فشرع فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك
فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل زمانه وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي
انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على

مثولها قال فاعترتني خشية ورقة حملته على التوبة والانابة **فصل**
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا يعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وساير معجزات الانبياء انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا
هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم
اللسان وايمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير
والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك القاوه في العجز بيديه
والنكوص على عقبيه **فصل وقد عد جماعة من الايمة**
ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه
بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى

اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران
بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس
بالهزل لا يشبع منه العلما ولا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة هو الذي
لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها
كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد
على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة
ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا

القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران آمرا وزاجرا
وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم
ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به
هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد • ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا
يختلف فيه ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين **وفي الحديث** قال الله
لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب **وعن كعب** عليكم
بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس الاية فجمع فيه مع وجازة
اللفظ وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن

رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة • ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح في الاذان واحلى على الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع • ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجما على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة • ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها
والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على
اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد
ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار
وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى
به والخبر عن اجتماع الملا منهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم

ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد
هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما
تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن
نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله كثير مما
ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها
داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه
وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق ●

فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع
انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته ● واجمع المفسرون واهل
السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضي
سراج بن عبد الله قال حدثنا الاصيلي قال حدثنا المروزي قال حدثنا الفربري قال
حدثنا البخاري قال حدثنا مسدد قال حدثنا شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن

ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ●
ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ● ورواه
عنه مسروق وانه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل
ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك مثله وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا
فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء
اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم ● وعن انس سأل اهل مكة النبي
صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما
رواه عن انس قتادة ● وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه

فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن
ابنه جبير بن محمد • ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن
ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شي ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل
الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم
من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في
بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس
بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور
السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد
واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج

الطحاوي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل حتى غربت الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصليت العصر يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
في خيبر • قال وهذان الحديثان ثابتان رواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن
صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات
النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى
تجي قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار
ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه
الشمس •

فصل في نبع الما من بين اصابعه وتكثيره ببركته

صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر
وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه قال

العصر

حدثنا القاضي عيسى بن سهل قال حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا عمر بن الفخار قال حدثنا أبو عيسى قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة. وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق. ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا. وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور

١٢٠

من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة. ورواه مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية. وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى. وعن الشعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون فيتوضؤون ثم يقومون. قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين. ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا

ينبع الماء وقد تقدم

الإداوة المطهرة

هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم
ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته

تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ
ابن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك
فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وقال في حديث ابن إسحق
فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة
أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في
قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك
فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها
فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما
من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن
أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض

أسفاره

أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا
فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا
اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي
قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل
مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم
زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه
سيكون لها نبأ وذكر نحو هذا ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي
صلى الله عليه وسلم عطش في بعض أسفاره فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران
ويخيل لي أنهما لم يزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال
اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن
الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها

في قدح

في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش
العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت
السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر **وعن** عمرو بن شعيب أن
أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء
فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في
هذا الباب كثير **ومنه** الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه ● **فصل**

ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا العذري قال حدثنا الرازي قال حدثنا
الجلودي قال حدثنا ابن سفين قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا
الحسن بن أعين قال حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم **ومن ذلك**
حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص
من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول

وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع
شعير وعناق قال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط
كما هي وإن عجيننا ليخبز **وكان** رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك ● رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب أنه
صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد
حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا **وعن** سمرة بن
جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله
لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي

صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملأوه وبقي منه **وعن**
ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى
جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
الا ان فيها اثر الاصابع **وعن علي** بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب كانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى
رووا وبقي كانه لم يشرب **وقال** انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب
امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا
فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين رجلا
وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي
الا اصع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن

مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة **ومن ذلك** حديث
جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن
في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجدادها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا
يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من
شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها
ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش
كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على
اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب **وفي** رواية فقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر
كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة
قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم

وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى
يروى ثم ياخذ الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب
الفضلة **وفي** حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان
عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم
اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله
فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي **ومن حديث** الآجري في انكاح النبي صلى
الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من
اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في رأسها ثم
ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن **وفي** حديث انس تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا
لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده
على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما
ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت ۝ واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة
في الصحيح **وقد** اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل ١٥ في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي قال حدثنا احمد بن عمران
الاخنسي قال حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها **وعن بريدة** سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم

اي تشق ه
فادعها فانها تجيبك
قال فدعوتها

آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي أسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد
لزوجها قال فائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له **وفي الصحيح** في حديث جابر
ابن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر
به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
فاخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال
التئما علي باذن الله فالتأمتا **وفي** رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى
لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا ۞ وروى اسامة

ابن

ابن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين **وعن** غيلان بن
سلمة الثقفي مثله في شجرتين **وعن** ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله
في غزاة حنين ۞ وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت
الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي **وفي**
حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه

الودية بفتح الواو وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية وهي الصغير من الفسيل وهو صغار النخل

الطلح هو شجر عظيم من شجر العضاه

الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها فقال لها قفي وذكر مثل الحديث الأول أو
نحوه قال القاضي أبو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه عليه السلام سار في
غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما
وبقيت على ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث أنس
أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها وعن علي نحو
هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة
وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر
ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه عليه السلام شكا إلى ربه
من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحي إليه أن ائت

وادي

وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت
أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت
هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل ١٦ في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر
خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن
عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو
سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا
الحديث قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد
بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى

تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت، زاد
غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر، وزاد غيره
والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في
حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحق عن أنس وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه
فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه، وفي حديث بريدة فقال يعني النبي
صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله
من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا
بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه
لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه، رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال

وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف

عبيد الله

عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كريب وكريب وأبو
صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر
نافع وأبو حية، ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار
عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره وبدون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب، والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي قال حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط قال حدثنا المهلب أبو القسم
قال حدثنا أبو الحسن القابسي قال حدثنا المروزي قال حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري
قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور
عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي غير
هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه، وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما
سبحن ورواه مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام
إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن
جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس
إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن
جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة
والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال
ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي

حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين
طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله فقال حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على
المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار
أنا الكبير المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس
كان حول البيت ستون وثلاث مائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة
فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه
ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال
فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن حديثه مع الراهب في
في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل
يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا
حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس

ما آل الحق إليه ● **فصل في الآيات في ضروب الحيوانات** حدثنا شاج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبي قال حدثنا القاضي يونس قال حدثنا أبو الفضل الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو قال حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب **وروي** عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم أجمعون لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي **ومن ذلك** قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى

جميعا

الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول **وروي** حديث الذئب عن أبي هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها **وعن** أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة أيضا هذه والمحدث بها ومكلم الذئب ● وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد **وقد روى** ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من

ع

ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال
أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا، وقد روي
مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن
جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى
دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر
وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود
لك منها الحديث وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير
فسجد له وذكر مثله، ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى
ابن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه

وقال

وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس
ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى، وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه
وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه، وفي رواية أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف، وفي رواية أنه شكا إلى
أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي
في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة
العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها إنك محمد وأنها لم تأكل
ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام
مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي
عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار
أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا
بفم الغار، وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن

ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله
قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق
واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار
لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد
بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم
الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بير جزعا
وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه • وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاث مائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد
انطلقت ورواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي
جا بها هو الذي ذهب بها • وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا
حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الكثير وقد جينا منه بالمشهور من ذلك
وما وقع منه في كتب الايمة •

فصل ١٩٥ في احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا
ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا
احمد بن سعيد قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت

للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن
البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت
وإن كنت ملكا أرحت الناس منك فأمر بها فقتلت **وقد** روى هذا الحديث
أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا ألا نقتلها
قال لا وكذلك روي عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها وذكره جابر بن
عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وذكر الخبر ابن إسحاق وقال
فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم **وفي** حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري **وحكى** ابن إسحق
إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به
من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر
وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال
كلوا باسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا **قال القاضي أبو الفضل**

رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو
حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه
الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله تعالى فيها
ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي
أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي
هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف
والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة
عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات
إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك في
الحصا والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها
بها الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم
ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة
إليه في النظر والموفق الله **وروى وكيع** رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله **وروى**

معيقيب

عن معرض بن معيقيب رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم
ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه
وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن
الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله تعالى فخرجت وهي
تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فيه فقالت مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم
ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان يعينني على كل شدة فلا تحملن علي
هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن
عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر
ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله

يقول

يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق
الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن
زياد البكائي عن محمد بن اسحق قال حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى
وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى
قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب
علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله
ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك

وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن
بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب
الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من
الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة وري
كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ
وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد. وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا
فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت. وفي رجل
زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت. وعلى ساق
علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد. وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء
يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب

ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه
ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الأسود فسعى. وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح
عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه. وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها أثر. وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت
قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء
منها

فصل في إجابة دعائه

وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا

ابو محمد العتابي من اصل عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن
القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل
قال حدثنا عبد الله بن ابي الاسود قال حدثنا حرمي قال اخبرنا شعبة عن قتادة عن انس قال
قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك
له فيما آتيته • ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما
اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولده
ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان
اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت
فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت
احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير
فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة • ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له • ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل

فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في
بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا • وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن • ودعا لعبد الله بن
جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه • ودعا للمقداد
بالبركة فكان عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد
كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه
بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت • ودعا لعلي ان
يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا
يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها الله قالت فما جعت
بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه
فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة

وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة

فسمي ذا النور. ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا
ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة في أقطار الدنيا. ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد
وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها إلى فيه. وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله
الأسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين
وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فلقد رأيتهم قتلوا
يوم بدر. ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم فرآه فقال كذلك فكن فلم يزل يختلج إلى أن مات. ودعا على محلم
بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين
صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي. وجحد رجل بيع فرس وهي
التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الرجل وقال اللهم إن كان كاذباً فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي
رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به ●

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد قال حدثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضي أبو علي
سماعاً والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي
قال حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم قال حدثنا الفربري قال حدثنا
البخاري قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن
أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة كان يقطف
أو به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحراً فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه. وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطاً
وباع من بطنها باثني عشر ألفاً. وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن
الوليد فلم يشهد بها قتالاً إلا رزق النصر. وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها
أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى نستشفي بها. وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القسم بن المأمون
قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم وكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها. وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره
على ركبته فصاح الناس به فأخذته فيها الآكلة فقطعها ومات قبل الحول. وسكب

من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد، وبزق في بئر كانت في دار انس
فلم يكن في المدينة اعذب منها، ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب، واتي بدلو من ماء زمزم فمج
فيه اطيب من المسك، واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فسكتا **وكان** لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي
صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها
يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها **وكان** يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه الى الليل
ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على
ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام
عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة
فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت، وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه
الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم **وفي** حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله

عليه وسلم شربة من سويق شربت اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها
اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا اظميت، واعطى قتادة بن النعمان وصلى
معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك ما بين
يديك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج **ومنها**
دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في
يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد
به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون
ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في
يده سيفا **ومنه** بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد
واعنز معوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن
مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد **ومن ذلك** تزويده اصحابه سقاء ماء
بعد ان اوكاه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من
رواية حماد بن سلمة **ومسح** على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك، وكان



يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيديه على بطنه وظهره. وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح
يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد
الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه
وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر. وروى مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور. ومسح وجه قتادة
ابن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة
ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان
في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره
وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا. وأتاه رجل به أدرة فأمره
أن ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه
وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب. المس الجنون ومج في دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين فرمى بها

في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى
إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل
فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير.

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد
الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري قال حدثنا أبو عمر
الهاشمي قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال
حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه
فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة
ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه

وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان
ذكر أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
وهو صغير وكان دميما ودعا بالبركة ففرع
الرجال طولا وتماما

لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته • وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج
اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من
الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى
وبفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى
وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال
اخر الحديث وانتم اليوم خير منهم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم
بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر
وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن

والهرج • وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها • وكذلك كان امتدت
في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك • وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب
ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه • وفي حديث اخر من
رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى
ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس • واخبر
بملك بني امية وولاية معوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم • وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب
هذه من هذه اي لحيته من راسه • وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه
النار • وكان من عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض
كفروه • وقال يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه

قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله
وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا ومحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب
الحوئب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فنبحت
على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك
من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار
فاحترق فيها وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة
يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة
بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا
الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون
الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث

آخر ثلثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله
وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا
والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة
راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة
وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل
امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم
رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو الذي يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون
بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر ملوكا كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك

وقال للقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب
القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة • واعلم بالذي غل
خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت
وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها • وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة • وبقضية عمير
مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر
والسر اسلم • واخبر بالمال الذي ترك عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم **واعلم** بانه سيقتل ابي بن خلف • وفي
عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله • وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال • وقال
في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف بعدي
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون **واخبر** بقتل اهل موتة يوم قتلوا
وبينهم مسيرة شهر او ازيد • وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه • واخبر فيروز
اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم
واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت
منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده

واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها
بالصدقة **واخبر** بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه • وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد • وقال للذين
كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وطعن سعد • وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري كسرى
فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعني بغداد **وقال** سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو
شر لهذه الامة من فرعون لقومه • وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة • وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك
قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو
خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم **وقال** لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده
يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده

من يخبره لا خبرته حجارة البطحاء • واعلامه بصفة السحر الذي سحر به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال • ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم يات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية • ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله ولي التوفيق •

ومشاقة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا

اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا مسلم بن ابرهيم قال حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية • وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث ابن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس • وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد

روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له
اينما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه
من يده . الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية . وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني . وذكر
عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما
بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكر الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما

عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا
ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه
سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه
جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح
وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر
وقال انج وقراها وبين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه
فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب
على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات
ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم
فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه الا من قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته

مع سراقة بن جعشم بن مالك حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل
فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم
بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم
بالاخبار وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول
للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان داعيا عرف خبرهما
فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع ونسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه
واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي

دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك
جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي
صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه ومن ذلك ما ذكر ابن اسحق في قصته
اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش
احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم
بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم
قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجة
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل
وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى
الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه
فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا

عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا اثرا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر
السورة وروي ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة
قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو
ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وعن فضالة بن عمرو اردت
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه انت فلم يره فعل شيئا
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك
ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره

للحجبي

ثاري اصله بالهمزة وخففت

وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت الي تلك الساعة لاوقعت به دونه صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله
له من العلوم والمعارف وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومعرفته من امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح
امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم عليه السلام الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم
واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من
الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه
من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة
بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص
بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل
مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له

مددهم جمع مدة ش

وكان من الجاهلية به اذا اسمع ما يدعوا اليه صوّبه واستحسنه دون طلب
اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا
الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام
فيها قدوة واصولا في علمهم **كقوله** عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر
وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث الرجل بها نفسه ورؤيا تحزين من
الشيطان ◦ وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب **وقوله** اصل
كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا
تكلم عليه الدارقطني **وقوله** خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين **وفي**
العود الهندي سبعة اشفية **وقوله** ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن
الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس **وقوله**
وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد له عشرة من الولد

تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله ◦ وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما
اختلفوا فيه من ذلك **وقوله** حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها **وقوله** ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ◦ وقوله في الحوض زواياه
سواء ◦ وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك خمسون على اللسان
والف وخمسمائة في الميزان **وقوله** وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا ◦ وقوله
ما بين المشرق والمغرب قبلة ◦ وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك **وقوله**
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا
يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معوية انه كان يكتب بين يديه عليه
السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب
فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة **واما علمه عليه السلام**

بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور وقد نبهنا على بعضه أول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية • وقوله ويكثر الهرج وهو القتل وقوله في حديث أبي هريرة
اشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا أو لا
يقوم به إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو
رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته
ولا نشأ بين قوم لهم علم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر
والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد
الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير
الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي
وهذا لسان عربي مبين • ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه
إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن
وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه

وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي
ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم
في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما
كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما
منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ
عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت
اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في
صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل
فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة
قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم
واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى
به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر

فصل ٢٦ ومن خصائصه عليه السلام

وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة

وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه

فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين

آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة الآية

وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفين بن العاصي

الفقيه بسماعي عليه قال حدثنا أبو الليث السمرقندي قال أخبرنا عبد الغافر الفارسي قال

حدثنا أبو أحمد الجلودي قال حدثنا ابن سفين قال حدثنا مسلم قال حدثنا عبيد الله بن معاذ

قال حدثنا أبي قال حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش

عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ست مائة

جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده من

كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من

أصحابه في مواطن مختلفة ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عند جبريل

في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما

ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم

ورأى [illegible] جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان والإسلام

رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفين بن

الحرث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت

الملائكة تصافح عمران بن الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل

في الكعبة فخر مغشيا عليه • ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم

وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم

أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا

مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من

المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله

عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال

نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا

ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر

الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها

عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى • وقال

عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته

فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت

دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكاً الآية فرده الله خاسئاً وهذا
باب واسع ●

فصل ٢٧ ومن دلايل نبوته

وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل
الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب
ابن لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة
والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام
وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا
ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي
ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر
والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار

في هذا كثير لا يحصى ● وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم
من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما
منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا
خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر
به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة ● إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام
من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوباً في
الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم
مذكور ●

فصل ٢٨ ومن ذلك ما ظهر من الآيات

عند مولده وما حكت أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعاً رأسه
عند ما وضعته شاخصاً ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه

عند ولادته وما رأته أمه إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور
النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف
لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم • وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن
نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل
مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع
وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك
وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك
فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن
خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى

ذلك

ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل بعثته
تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه
كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه
ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن
قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير
الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها • واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره
قبله • ونداؤهم الذي سمعوه أن لا ينزعوا القميص عنه عند غسله • وما روي من تعزية
الخضر والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته
وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته •

فصل ٢٩٥

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد أتينا في هذا الكتاب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها ما صح واشتهر إلا يسيرا من

عن دينه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين
احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من
تقدم من الانبياء عليهم السلام تقف على ذلك ان شا الله **واما** كونها كثيرة
فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها **وذهب** بعضهم الى ان كل اية
منه كيف كانت معجزة **وزاد** اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت
من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة مثله فهو اقل
ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي
القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزا القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف

العدد

العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب
فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية الخبر عن اشيا من الغيب كل
خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه في
هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا **الوجه
الثاني** وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر
همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه
السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم
عليه فجاهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون
معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء صلى الله عليهم وسلم ثم ان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة
والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من

عليه السلام صح

قال في الصحاح كهن له يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة فاذا اردت انه صار كاهنا قلت كهن بالضم كهانة بالفتح صح

الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النمط الغريب
والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه، ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار والمخبات والضماير
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدا العدو
فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجا من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبياء والامم
البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي
بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتي
لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب
على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما
اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان
وان كان كل عندها حقا وساير معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم
ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل

ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي قال
حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر قال حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم
قالوا حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال
حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
من الانبيا نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى
الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله وذهب غير واحد من العلما
في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر من
ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه
فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل
بها على الضعفا كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا السحر في التخييل فيه عمل فكان من
هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان
يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص
وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الخفي عليه ويغضي وجه ثالث

على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عن
عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو
من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد
يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في
ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر **واما التحدي**
فخلا بقي مبين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق
بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال
نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله

التوفيق

التوفيق **وقد غاب** عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون
فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف
بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من
قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه
زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم

وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام • من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قسم لخصنا الكلام فيه في
أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة
قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه
فيما أتى به • قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا • وقال
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله • وقال فآمنوا
بالله ورسوله النبي الأمي الآية • فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين
لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي
عليه قال حدثنا الإمام أبو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا

ابن عمرويه قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا أبو الحسين قال حدثنا أمية بن بسطام
قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي أبو الفضل
والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع
ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به
والتصديق له كما ورد هذا في الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن
أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله • وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم
سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد
قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان
وهذه الحال المحمودة التامة وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان

دون تصديق القلب وهذا هو النفاق • قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين
في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
في احكام الدنيا المتعلقة بالايمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السراير ولا امروا بالبحث
عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم عن ذلك وقال هلا شققت
عن قلبه • والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مومنا مستوجبا للجنة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مومن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح

وفي هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من
الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مومن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير
مخلد في النار وقيل ليس بمومن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا
هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما
والزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة
وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء
الله تعالى •

فصل واما وجوب طاعته

فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله • وقال قل اطيعوا
الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون • وقال وان تطيعوه
تهتدوا • وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله • وقال وما اتاكم الرسول فخذوه

وما نهاكم عنه فانتهوا. وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية. وقال
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل الله تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء
العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة
الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا
فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في
فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل
أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم. ويقال أطيعوا الله بالشهادة
له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال
حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف قال حدثنا محمد بن أحمد قال
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا البخاري قال حدثنا شعين قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا
يونس عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه
يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى
الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من

عبدان

طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله
عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني. وقد قال عليه السلام إذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة
عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما
بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير
العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث
الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي
دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس.

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه

فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون • وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما
اي ينقادوا دون حكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد • وقال لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر قال محمد بن علي
الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول
او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه • وقال
سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك
ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى
ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآية وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم
قالوا نحن ابناء الله ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم

تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته
ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن احب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته
الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى
الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن بن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه
قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهني قال حدثنا ابو بكر الآجري قال
حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات

الجوزي بالجيم المفتوحة والزاي ... ابرهيم بن موسى كذا ذكره ابن ماكولا وغيره

كذا في بعض النسخ وصوابه السلمي بضم المهملة وفتح اللام كما في سنن ابي داود وجامع الترمذي واطراف المزي وكتاب الاسماء ه ش

الامور وان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه
وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم
متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية
وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القران ومن تهاون بالقران
وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية
وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة

وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد
وقال عليه السلام ان بني اسرايل افترقوا على اثنين وسبعين فرقة ملة وان امتي
ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال
الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحرث من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من
عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله
ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيا

فصل واما ما ورد عن السلف

والايمة من اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ
ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر
الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة
قالا حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد

صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر
يا ابن اخي ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما
نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي
من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب
تعلموا السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال انه سيأتي ناس يجادلونكم يعني بالقرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي
رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم
اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة • وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض
من عبد على الكتاب والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله
الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم
ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله
وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله الا اتباعها • وقال عمر ونظر الى الحجر
الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عن عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل
فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال
ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر
الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الافعال والاخلاق والاكل من الحلال واخلاص النية
في جميع الاعمال وجا في تفسير قوله عز وجل والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل
الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قايلا لي يا احمد ابشر فان الله قد
غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة

متوعد من الله بالخذلان والعذاب قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب

بقرائي عليهما قالا حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ قال حدثنا احمد بن ابي سليمان قال حدثنا
سحنون بن سعيد قال حدثنا ابن القسم قال حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا
فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن
سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن
ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما
وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجي بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم الى غير
نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه

لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى
ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني

في لزوم محبته

قال الله تعالى

قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الاية • فكفى بهذا حضا وتنبيها ودليلا وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى من كان ماله واهله
وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
قال حدثنا ابو محمد الاصيلي قال حدثنا المروزي قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
قال حدثنا ابن اسمعيل قال حدثنا يعقوب بن ابرهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
ابن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه • وعن انس عنه عليه
السلام ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف

في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال
سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه
عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث •

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراتي عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن علي بن خلف قال
حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا
عبدان قال حدثنا ابي قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت
لها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله
قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني

أحببت فقال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي أن النبي صلى الله عليه
وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي
في الجنة في درجتي يوم القيمة وروى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجي
فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع
النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة

من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد قال حدثنا
العذري قال حدثنا الرازي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفين قال حدثنا ابن مسلم
قال حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود
أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن
عمرو بن العاصي ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم
ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى
يغلبه النوم وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك
بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك
أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس أن
تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان

والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ

وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت عجوز تنفش صوفا

وتقول ✿ على محمد صلاة الأبرار ✿ صلى عليه الطيبون الأخيار ✿

✿ قد كنت قواما بكا بالأسحار ✿ يا ليت شعري والمنايا أطوار ✿

✿ هل تجمعني وحبيبي الدار ✿ تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس

عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل

له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر

بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه ✿ غدا ألقى الأحبه ✿ محمدا وحزبه ✿

وروي أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم

ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا

مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه

الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا

يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة

إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض

عن

عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير

بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام

اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان

مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه

وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره

واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد

هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه

وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين

تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في

صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط

العباد في رضى الله حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله حدثنا أبو الحسين

الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي

حدثنا أحمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله

الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك
غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحيى سنتي فقد أحبني
ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى
لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة
أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبه محمدا وصحبه وتقدم قول
بلال ومثله قول عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته
مع كثرة ذكره تعظيمه وتوقيره له عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال إسحق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا
يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم
من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من

من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب
شيئا أحب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما
وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله
ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي
لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ورسوله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه
فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن
عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا
أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى
وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو
ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من

خالف سنته وابتدع في دينه واستثقل له كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا
تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهاؤلاء اصحابه
عليه السلام قد قتلوا احباهم وقاتلوا آباهم وابناهم في مرضاته وقال له عبد الله
ابن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب
السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن
نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه
للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثار الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان
الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي والجبل الى اسفله وفي
حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال

انظر

انظر ما تقول قال اني والله احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا
ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه ●

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال
سفين المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن
سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال
آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير

الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف بامثال هولاء حتى يبلغ
التعصب لقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يودي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا انظرت هذه
الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاث
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها
قبل فيما مر من الكتاب بما لا يحتاج الى زيادة • واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع
المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان
ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح

الآثار

الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال
فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب • واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال
على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
عليه السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم •

فصل

في وجوب مناصحته عليه السلام

قال الله تعالى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم • قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف
ابن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس
حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن

رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان البستي
النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها
بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته
من شمعه وقال أبو بكر بن إسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة
مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال أبو إسحق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما
لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والإخلاص في عبادته والنصيحة
لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له والتفقه
فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان وقال أبو بكر وموازرته ونصرته
وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة
وآدابه الجميلة وقال أبو إبرهيم إسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله
وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا
في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون
وأما نصيحة المسلمين بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن
سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف
أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة
وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القسم القشيري أن عمرو بن الليث
أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت
على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما
غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد

قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر
دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث
في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه الآية وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه
وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من
العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن
عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال
فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن
يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة

ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال
السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل
كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له
بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب
أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على أحد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم
خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد
بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى
في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه
وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية
أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة **وروي** ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم **وقيل** نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه **وروى** صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

عن قولها

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله

حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعي عليهما في آخرين قالا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوة بن شريح حدثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه **وروى** الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما **وروى** اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير **وقال** عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم

خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر
قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم
محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان بالطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه
وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن
قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته

فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك
عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله
وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى
ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته
وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال
القاضي أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد
بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث
قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن
عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا أحمد بن حميد قال ناظر
أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو
أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك

ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقال مالك وقد سئل عن أيوب
السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت
أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه
فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى
يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي
ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال
إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا

يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم
وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم
الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل
ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان
عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا
ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما
يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف

في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني
حدثنا علي بن مبشر حدثنا أحمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق

ذا او ما دون ذا او ما تريب من ذا • وفي رواية فتربد وجهه • وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه واتنفخت اوداجه **وقال** ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة
مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم • وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد • وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم
يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال**
مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداه وتلقى له منصة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم **قال** ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان
يحدث في الطريق او هو قايم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء • ونحوه عن قتادة
وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث
الا على طهارة ولا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء **قال** عبد الله بن
المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه
ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه
الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن
حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي • وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه فقيل
له انه قاض قال القاضي احق من ادب • وذكر ان هشام بن الغازي سأل مالكا عن
حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام

وودت لو زادني سباطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا
يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا تقرأ احاديث النبي صلى الله
عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم ● **فصل ومن توقيره**
صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين كما
حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم ●
اخبرنا الشيخ ابو محمد ابن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثنا ابي حدثنا حاتم وهو ابن
عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ● وقال عليه السلام معرفة آل
محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب

ازواجه صح

قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا
وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال
فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم
الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن
ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل
بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان
اصل من قرابتي ● وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسينا ● وقال من احبني واحب

هذين واشارا الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة ٥
وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عايشة ● وعن عقبة بن الحرث رأيت ابا بكر
رضي الله عنه وحمل الحسن على عنقه وهو يقول ۞ بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي ۞
وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان
يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو
محمد بن اسامة وطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف

ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما
سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه
من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن
سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني
جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله
عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر
وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ● ولان اخر
من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة
لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج

النبي صلى الله عليه وسلم ● فصل ومن برّه
وتوقيره عليه السلام توقير أصحابه وبرّهم ومعرفة حقهم
والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفواحش
والتأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء
ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك
كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ● قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة وقال والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار الآية ● وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة ● وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي
أبو الحسين وأبو الفضل قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك
ابن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام
لا يصلح الطعام إلا به ● وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن
أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال لا
تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
وقال من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل
الله منه صرفاً ولا عدلاً ● وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال في حديث جابر
إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير
وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني وقال
مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية وقال من غاظه أصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال
أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل

ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق
ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح والخاف ان لا
يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما **وفي** حديث
خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر
فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان
الله تعالى غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال
لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معوية صاحبه وصهره وكاتبه
وامينه على وحي الله • واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال
كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا من محسنهم **وقال** احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله

منه يوشك ان ياخذه • وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي ورد علي
الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد
قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله
رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع
لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة
من عاداهم **وروي** عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا
له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة • قال
سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز
اوامره

فصل ومن اعظامه واكباره

اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان
لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها قال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي

عليه السلام كثر من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ولهذا
كان مالك رحمه الله كان لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله
ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة • وروي انه وهب
للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب • وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة والرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده • وقد افتى مالك فيمن قال
تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة
وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا او آوى محدثا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وحكي
ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول • وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا

فليتبوأ مقعده من النار • وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد
المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر • قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى • فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
يأتي الى باب مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي • قال
القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل • وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح • وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح • واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر • وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات • ومساجد وصلوات • ومشاهد الفضائل والخيرات • ومعاهد

هذان البيتان لابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي

هذه الابيات لابي نواس الحكمي مدح بها محمد الامين

البراهين والمعجزات. ومناسك الدين. ومشاعر المسلمين. ومواقف سيد
المرسلين. ومتبوا خاتم النبيين. حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها.
ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها. ان تعظم
عرصاتها. وتتنسم نفحاتها. وتقبل ربوعها وجدراتها.

يا دار خير المرسلين ومن به . هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة . وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري . من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها . من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها . ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي . لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة . تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات . ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي
وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة
الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعا للرحمة من الله. وقد
ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعا. وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن
دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال
ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعا
قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم
الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى
الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره. وفي معنى السلام عليه
ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ
واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون
هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد

القاضي

كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة
والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية
عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي
يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك
مندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله • قال القاضي أبو الحسن
ابن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض
عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن
بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك
لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها • قال القاضي أبو محمد
ابن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي
أبو محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا تتعين في الصلاة وأن من صلى

عليه

عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي
الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة
وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة • وأما في الصلاة
فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع
المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة • وشذ الشافعي في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير
وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له
في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه
لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري
والقشيري وغير واحد • وقال أبو بكر بن المنذر يستحب
أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة
وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمل
أهل العلم • وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة

قوله ولا سلف له النووي نقل أصحابنا فرضية الصلاة في التشهد عن عمر بن الخطاب وابنه ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ورواه البيهقي وغيره عن الشعبي وهو أصح الروايتين عن أحمد ش

قوله ولا سنة بل له سنة وهي ما رواه ابن حبان والحاكم وصححاه من حديث ابن مسعود الأنصاري أنهم قالوا كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الحديث ش

وان تاركها في التشهد مسيء ۔ وشذ الشافعي فاوجب على تاركها
في الصلاة الاعادة ۔ واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد
ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة
كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه في هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره
الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله
عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري
وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم ۔ وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد ۔ وقال
ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا على المنبر عمر ابن الخطاب ۔ وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي
قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث ۔ وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي
وعلى اهل بيتي لم تقبل منه ۔ قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر
محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم

فصل

في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه
قال حدثنا الامام ابو القسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي
عن ابي الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله

ابن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثنا ابو هانئ الخولاني ان عمرو
ابن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليدع بعد بما شاء • وروي من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح ٥
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء
والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم
ان يسال الله حاجة فليبدأ بمدحه والثناء عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه
ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او الوضوء توضأ

والا

والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال
ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان صادف اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ٥ وفي الحديث
الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد • وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء
فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء • وفي دعاء ابن عباس الذي رواه
عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين آمين • ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره
وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ٥ وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح • وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا
يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب • قال اصبغ عن ابن القاسم

موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله
محمد رسول الله ولو قال فيهما بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسميته له
مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة • ومن مواطن الصلاة والسلام
دخول المسجد • قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه
وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار
في قوله تعالى اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ٥
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال
النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في
البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين • وعن علقمة

اذا

اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله وملائكته على محمد • ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج
ولم يذكر الصلاة • واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله
اذا دخل المسجد • ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة • وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في
الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز
وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي وآله في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم
به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم
خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثني كريمة

لعله الصلاة

بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد
ابن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض • هذا
احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام • قال
محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم • واستحب اهل العلم
ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض
من الملائكة والجن وبني آدم قال مالك في المجموعة واحب
للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا
القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن
واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك
عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي
انه قال حدثنا ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت
على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود
الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل
ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد
مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي
وعلى آل محمد • وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله

التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه
قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر
المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم
الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين
عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما
ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد
وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد

وترحم

النبي

النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت
على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ
المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج
موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك

واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من
فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء البانين
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم **وعنه** ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات
الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم
النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد
البشير الداعي اليه باذنك السراج المنير وعليه السلام **وعن** عبد الله
ابن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك

اليك

حميد

حميد مجيد **وكان** الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس
الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين **وعن**
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم
وموسى **وعن** وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط
محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من
خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة **وعن**
ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد



اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد
مجيد **وما يوثر** في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم
كثير وقوله السلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين **وفي** تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران ∴

فصل
في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعا له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس
ابن مغيث حدثنا ابو بكر بن معوية حدثنا النسائي اخبرنا سويد بن
نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه
سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول

سمعت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ۝
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي
صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له
عشر درجات **وفي** رواية وكتب له عشر حسنات **وعن** انس عنه
عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه
عشرا ورفعه عشر درجات • وفي رواية عبد الرحمن بن عوف عنه
عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه • ونحوه من رواية ابي هريرة
ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة **وعن** زيد بن الحباب
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي **وعن** ابن مسعود
اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة **وعن** ابي هريرة

عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما بقي اسمي في ذلك الكتاب **وعن** عامر بن ربيعة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر **وعن** ابي بن كعب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال
يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما
فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم
اجعل لك من صلاتي فقال ما شئت فقال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها
لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك **وعن** ابي طلحة دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال
وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى
بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه
وملائكته بها عشرا **وعن** جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه

وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة **وعن** سعد بن ابي وقاص من
قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له **وروى** ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة **وفي** بعض الآثار
ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي **وفي** آخر
ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة
وعن ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من
الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا
ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم



الدورقي حدثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن
ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم
انف رجل ذكرت عنده ولم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
فلم يدخلاه الجنة • قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي
حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم
صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله فقل امين فقلت امين
وقال من ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب
عنه عليه السلام انه قال البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به عن طريق الجنة •
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
ابي هريرة قال قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا
ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم
كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله
عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل
في تخصيصه عليه السلام بتبليغ من صلى عليه او سلم
من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا

حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي
روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند
قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود ان
لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعن
ابن عمر اكثروا من الصلاة على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
علي صلاته حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما
كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد
من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه
وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا

بلغته بفتح الباء الموحدة وكسر اللام المشددة

تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم
فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من
الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن
سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين
يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن
ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا
من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان
عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي
الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا
يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام

قال القاضي وفقه الله عامة اهل
العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى

ابن ماس الشقي الصحابي اخرج هذا الحديث عند الترمذي في الصلاة وابن ماجة في الجنائز

إلا على نبي • ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف
من مذهبه • وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحق اكره الصلاة
على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى
لست اخذ بقوله ولا باس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله • قالوا والاسانيد عن ابن عباس
لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته الآية • وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة
اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته • وفي اخر وعلى آل محمد
قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل

الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة •
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل
تقي • ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه
كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي
بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من
مزامير داود وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى
الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي
عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى
على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شي يختص به الانبياء توقيرا لهم

وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره وكذلك يجب تخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه
سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من
سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا
اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان • وقال والتابعون لهم
بإحسان رضي الله عنهم • وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في
الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة
في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه
فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك • وذكر الصلاة على الآل
والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة
إليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه
مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم

بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم بعضا وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل في زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها وروي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت
له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما
زارني في حياتي • وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من
قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن
زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة
وقيل لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا
ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث

أهل الجنة زيادتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والأولى
عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه
السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر
والتشبه بأولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم. قال
إسحق بن إبرهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك
برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطي قدميه
والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن
عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من
وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته
يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد

بن

ابن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال
لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقرئه عني السلام. قال غيره كان يبرد إليه البريد من الشام
قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب إذا
سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوطة
لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم
ويمضي قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله
عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال
نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء
إلى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر
السلام على أبي ثم ينصرف وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي
أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه

وسلم فيصلي على النبي وعلى أبي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي
ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته • قال في المبسوط
ويسلم على أبي بكر وعمر • قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي أنه
يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر كما جاء في
حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد
الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا من
ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله
فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام
ما بين قبري بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه بما يحضرك
وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد

وتثني ه

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا
وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفي ما بين ذلك وقال محمد
واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم افتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى
فليسلم مكان فليصل منه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من
فضلك • وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد
ابن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا • وكانوا يقولون اذا خرجوا
مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا

اغفر لي ذنوبي

وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب
رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة اذا دخل احدكم
المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي • وقال
مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة
الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء • وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم
من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر
وربما وقفوا في الجمعة وفي الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر
فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها
ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القسم ورأيت أهل

المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي
قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغربا قصدوا
لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم
وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد • وقال لا تجعلوا قبري عيدا
ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي من ~~في~~ وقف بالقبر لا يلتصق به ولا
يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم
الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة

قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه

العتبية بضم العين وسكون التاء الفوقية بعدها موحدة
وياء النسبة الى العتبي الاندلسي محمد بن احمد بن عبد العزيز
القرطبي مصنفها [illegible]
شمني

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه
بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود حدثنا
مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى • وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد
فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لأدبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد
ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره

قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون ان حكم
سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة
ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع
الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى
وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من
الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف
الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة
والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل
من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة
صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مائة وعلى غيره

بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا وهو قول
عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة
والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب
من أصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في
الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة
وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على
هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره
أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه
الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة
وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض
وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال
وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر
عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه • وقال

عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة • ومثله
عن أبي هريرة وأبي سعيد وزادا ومنبري على حوضي وفي حديث آخر
منبري على ترعة من ترع الجنة • قال الطبري فيه معنيان أحدهما
أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما بيته بين
حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا
كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف
لأن قبره في حجرته وهو بيته • وقوله عليه السلام ومنبري على حوضي
قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني
أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده
لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي • وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب
لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك الثواب كما قيل الجنة
تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوايها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة • وقال فيمن تحمل عن
المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون • وقال انما المدينة كالكير
تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في
احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه
ولا عذاب • وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها
وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث
حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم • وحكي ان قوما اتوا سعدونا الخولاني
بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج
قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج

ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه
السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له
وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام
ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من
الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك
ابو العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي
حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت
ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي يقول سمعت سفين بن عيينة
قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال
عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ

سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال ابن سيرين وأنا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا
استجيب لي قال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في الملتزم منذ
سمعت هذا من سفين إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس وأنا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي
وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي قال أبو أسامة
وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من
أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة
إلا استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله تعالى فيه
بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن
يستجيب لي بقيتها قال القاضي أبو الفضل ذكرنا نبذا
من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل

الذي

الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية وقال ما المسيح ابن مريم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان
الطعام • وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق • وقال قل إنما أنا بشر مثلكم
يوحى إلي أنما إلهكم الآية • فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك ما أطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم

مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • اي لا
يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من
خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم
متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من صفات البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة
بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة
للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو

أوصاف

كانت

كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم
اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها
كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا
في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل ••••

قيل طعام من طعام اهل الجنة لا يفطر
وقيل معناه يجعل فيّ قوة الطاعم والشارب

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية

والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من
التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على

حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او نظر اليه بقصد
واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ
بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها • والنبي صلى الله عليه وسلم
وان كان من البشر وتجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي من وقت

نبوته اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق
التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او
الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا
ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود

حكم عقد قلب النبي عليه السلام

ولكن ليطمئن قلبي

الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء
الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا
تحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند
ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن
اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث
انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك
اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك
على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر
او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء العيان ليزداد
بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين
بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه الوجه الخامس
قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى

لكن ليزداد ... ليس الخبر كالمعاينة

عيانا تام

وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية **الوجه السادس** انه ارى
من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول
نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون
بالبعث وباحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه
اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على
طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او
زيادة يقينه **فان قلت** فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن
عباس او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه
وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم
يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك ونحوه عن ابن جبير والحسن **وحكي**
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة
المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك

ان

ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية **وقيل** المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
ونظيره كثير ۵ قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه
فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب مهمة
غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المامور غير النبي صلى
الله عليه وسلم ليسال النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب
مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا
عن من ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا

وفي بعض النسخ قاله القتبي وكلاهما ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة صاحب المصنفات

من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه
مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة
الاسراء عن ذلك وكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي
انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا
هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى
لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي
في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه
فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترا
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله
ابتغي حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره
وقيل هو تقرير لقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل

هكذا وقع في كثير من الاصول والاولى انما هي ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ش

تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما
انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته
عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك
ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع
والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير
وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدإ الوحي من قوله لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن
لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء الملك او يكون

[illegible] ش

ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه
من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولاً في المنام ثم اري في اليقظة
مثل ذلك تأنيساً له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية **وفي** الصحيح عن عائشة اول ما
بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت
ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث
وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع
الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثمان سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر
جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر
نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف
عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من
شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابداً لاعمدن الى حالق
من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت

منادياً ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت
رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا
ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة **ومثله**
حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء واني قد خشيت والله على نفسي ان يكون هذا الامر **ومن**
رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتاً وارى ضوءاً واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو
صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظاً
يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره
وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي عليه **وقد** روى ابن اسحق
عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت

هو ابو ميسرة الهمداني

له خديجة أوجه إليك من ربك قال أما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة
لتستحق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك
ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر
هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن
هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك
وفي حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره
وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت
به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق
الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولم يذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله

ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل
على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من
تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور
في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر
اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها
المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن
تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن
ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له بما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن
نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله
وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا
يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ نقدّر عليه
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه

أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن بنبي
أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق
بالمؤمنين فكيف بالأنبياء وقيل مستحييا من قومه أن يسموه
بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما
أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس
غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي
عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة
من يقطين وأرسلناه • ويستدل أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه
القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم أكثر
من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة

أو ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها
وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم
الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من
الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين مرة في
اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات
وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة
إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة
الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه
وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله
مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه
هناك أرفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها

غضاً من علي حاله وخفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك
هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها والى معنى ما أشرنا به مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي **وذهب** طائفة من أرباب
القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة الى ان معنى
الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته عليه السلام لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا
على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها إظهاراً للعبودية والافتقار
وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على
الاستغفار **قال** غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الأمن
وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه
فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة

أفلا أكون عبداً شكوراً وعلى هذا الوجه الأخير يحمل ما روي في
بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام إنه ليغان على قلبي في اليوم
أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله **فإن قلت** فما معنى قوله
تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم إني
أعظك أن تكون من الجاهلين **فاعلم** انه لا يلتفت في ذلك الى قول
من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء
لجمعهم على الهدى وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن وعد
الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا
في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منها دليل
على كونهم على تلك الحالة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح
قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن
مثل هذا قد يحتاج الى إذن وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من

الصفة

عينه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك
امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند
ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي
وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبيا
منه بعد النبوة قطعا **فان قلت** فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام
على ذلك ان فعله وتحذيره منه بقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين الاية
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين **فاعلم**
وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ

وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر
امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصايرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف
للنفس **واما** قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات فمعناه ان هذا جزا
من فعل هذا وجزاوك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال
من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه
عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية

وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة

فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا انبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم

وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبتدإ ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية

هو الامام ابو نصر عبد الرحيم بن الاستاد ابي القسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري اشتغل على والده وعلى امام الحرمين وتوفي سنة اربع وعشرين بنيسابور ونقل الرافعي عنه في التذنيب

والابتداء النظر والاستدلال وقيل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد اهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اى على قولكم كما قال اين شركاءي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا

حتى

تشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر ؞ فعادا بعد ابوالا ؞ وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ها هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو في غار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري ؞ وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين اهل مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك

فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك
في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي
ووجدك ضالٌّ فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك
ضالا اي محبا لمعرفتي والضالّ المحب كما قال انك لفي ضلالك
القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك
في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال
مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية
وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعدا
ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي
من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال
الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا
فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي

قال

قال ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق
الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي
هو الفرايض والاحكام قال وكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت
الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهذا احسن
وجوهه فان قلت فما معنى قوله عز وجل وان كنت من قبله
لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن آياتنا
غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة
يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان
ابن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا
موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم
في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده ولا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله

وقوله فلما خالطنا بناء الاحجار الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه بعد كراهيته لذلك الى ان خرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد عيدا

بغضت إلى الأصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي
صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه
أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما
فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل
عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق
الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في
الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبرهيم عليه السلام

فصل قال القاضي أبو الفضل

رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في
التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما
ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا
على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا
ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه
وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام في الباب الرابع

أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في
هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط
في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقاد ما
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة
وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله
تعالى ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك
يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل
الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية
وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك
كله مشهورة وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا
يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن
يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه

على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل العلم اليقين او يكون فعل
ذلك باختياره واجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز
وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث
ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي في ما لم ينزل علي فيه خرجه
الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا
هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول
بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر
ان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء
في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين الذي هو
الحق والصواب عندنا انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي
صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم
يشرع له قبل هذا في ما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه واما ما لم
يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا
الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى اذا استقر علم جملتها عنده اما بوحي

من

من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان
ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من
تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا
يعلمه ٥ واما ما تعلق بعقد من ملكوت السموات والارض وخلق
الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة
واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون
مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه
فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا
يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما
ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا
خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله
عليه وسلم اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله

أسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم
الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال
زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به
إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد
النبي في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة مجمعة

على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا
في جسمه بانواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا
القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل
رحمه الله حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني
حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه

فأسلم

فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن
عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فأسلم بضم الميم اي فأسلم انا
منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين
انه انتقل عن حال كفره الى الإسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على
الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في
غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه
اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته
فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال ابو هريرة
عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة
هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله

خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه السلام أن عدو
الله إبليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه
وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه
وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة
وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار
فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه
بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في
الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو
قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر
بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام كفي
من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب
وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك
ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على

فان

فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى
قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب
يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا
الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل
ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره
الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان
من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له إليه سبيل أن
يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط
عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه
الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة
الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان
يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته

فإن قيل فما معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس
في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث
وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا
التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا
للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل
غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله
الله وينسخه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد
بأشبع من هذه العبارة إن شاء الله تعالى وقد حكى
السمرقندي إنكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك
سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان متقدمة مبينة ومن قال إن الجسد الولد الذي ولد له
وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب وقوله إني مسني الشيطان
بنصب وعذاب أنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي
أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره

وكشف لبسه ح

ليبتليهم

ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه الشيطان
ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله تعالى عن يوسف فأنساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة
يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد
يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل
قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه
رؤوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما
هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه
إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى
وإذ قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ من بعد موت موسى
عليه السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القرآن وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد قال
المفسرون في قوله فأنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه

الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك أي انساه
أن يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا
من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما
ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا وادٍ به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان أتى بلالا
فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا
ان جعلنا قوله ان هذا وادٍ به شيطان تنبيها على سبب النوم عن
الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله. فصل

واما اقواله عليه السلام

فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت

الأمة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا أو غلطا
أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما
وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ أبي اسحق
الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع
بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي
أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل
المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في
ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من
وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا والسخط
والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
أكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضا والغضب قال
نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ٭ ولنزد ما أشرنا

إليه من دليل المعجزة عليه بيانًا فنقول إذا قامت المعجزة
على صدقه وأنه لا يقول إلا حقًا ولا يبلغ عن الله إلا صدقًا وأن
المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول
إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما
تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك كله واجب برهانًا وإجماعًا كما قاله أبو إسحاق

فصل وقد توجهت هاهنا

لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى

ويروى ترتضى وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق
العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما
ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى
على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على
لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى أن لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى لا ينزل عليه
شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تسلية له وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك
الآية فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ
الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون
والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح

وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس تعصي بعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك
الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
إسناده واختلاف كلماته فقائل انه في الصلاة وآخر يقول
قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها
وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فيها وآخر يقول
إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما
عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم
الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم
يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم
فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ٥

قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده
عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا
وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار
رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم
وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
هذا توهينه من طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة
وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل
هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة
غير الله وهو كفر أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن
حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من

القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك
كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل
نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا
كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام
من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه
عليه ما يلقيه الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان
يتقول لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات الاية **وجه ثان** وهو استحالة هذه
القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم
متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من
بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في
باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه **وجه ثالث**

انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط
العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما
فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا
ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من
هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من
هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في
ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين **وجه رابع** ذكر الرواة لهذه
القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان

الأبيات ترد أن الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم
كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته الله لكاد يركن
إليهم شيئا قليلا فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من
أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم
يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا
صحة له وهذا مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم
وما يضرونك من شيء **وقد روي** عن ابن عباس كل ما في
القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل **قال القشيري**
القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه
إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل
قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكر

لسبيلين تعسفين وتأويلين حقيرها
[illegible] ش
وردتها

في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله
يرد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله
بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا
من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية
وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح
وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب
على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين **فمنها**
ما روي قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة
عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم
وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه
الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته
في هذا الباب من جميع العمد والسهو . وفي قول الكلبي أن النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه **وفي**
رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك
قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يتقوله عليه

السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم عليه السلام هذا ربي على احد
التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل
بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر
ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره
ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى
الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان وعيبها

صلى الله عليه وسلم صح

وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم صح

ما عرف منه ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال
الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته
وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية
انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر
ابن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران
بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم
ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز • ومما يظهر في تاويله ايضا ان
مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة
قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان

شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسّر
الكلبي الغرانقة إنها هي الملائكة وذلك أن الكفار كانوا
يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى
فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة
صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم
ولبس الشيطان عليهم ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ
الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين
اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن
ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا
الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ

ذكر

ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار
أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون • ونسب
هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه
وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه
فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية وبين
للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر
الآية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد
قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع
إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا فاعلم أكرمك الله أن
ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم
إن الله مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب

مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم
العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم لما رأوا دلائل
العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فإن قلت فما معنى ما روي
من أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا
حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه
وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب
كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا
ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا يوقع

في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر
المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من
هذا والعجب لسليم القلب يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من
المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي
الله وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
أوحي إليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القرآن وأنه من عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب
قال له عليم حكيم أو كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
هو فسبقه لسانه أو قلمه إلى كلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول عليه
السلام قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته أو
مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام

وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايته لها فليس فيها ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي رض ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني

كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح
كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان
وقراتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملا احداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الآية الاخرى فذكرها
للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه نصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جات على وجهين في غير المقاطع قراهما
الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها
وينقض الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي
صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه
عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك
كيف شاء **فصل هذا القول فيما طريقه**
البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند

لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم
من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب
كانت وفي اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها
ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا **ولما احتج**
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من
ابي القسم فقال عمر كذبت يا عدو الله **وايضا** فان اثاره واخباره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك
لنقل كما نقل من قصته عليه السلام من رجوعه عما اشار به على الانصار

كتبه الحميم فضل المنان

في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا أو غير ذلك من الأمور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت
الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث
وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها وأيضا فإن الكذب
متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار
منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة
الواحدة منه فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة
بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري
على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره سهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق
ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض

للمعجزة

للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان
يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال
أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق
النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من
الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام
في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر قال
حدثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله
ابن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا عن مالك عن داود بن الحصين
عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال

يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت
الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك
كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله
وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو
بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز
الوهم والغلط في ما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من
القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان
في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن
فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه
في الأقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه البلاغ القول كما سنذكره
ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره
أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا وأما النسيان فأخبر

صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر
بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا **وجه ثان** أن قوله
ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه
في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد **وجه ثالث** وهو أبعدها ما ذهب
إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع
القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا
وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والذي أقول ويظهر لي أنه
أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه
وأنكره على غيره بقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكني
أُنسّى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان
ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى
سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأجري ذلك عليه ليسن فقوله على هذا لم أنس

ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسي **ووجه آخر** استفدته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه
النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن
حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن تحقق على هذا
المعنى لم يكن في قوله ما قصرت الصلاة ولا نسيت خلف في قول **واما**
قصة ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث المنصو
في القرآن منها اثنان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته إنها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب اما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي ان
كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر

بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض
بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون
بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال
مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم
نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه • واما قوله بل فعله
كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه • واما
قوله اختي فقد بين في الحديث وقال إنك اختي في الاسلام وهو صدق والله
تعالى يقول إنما المؤمنون اخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم
قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته **فمعناه** انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مؤاخذته بها واما الحديث
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في

التوقف إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر
السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول توجهوا
تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم
يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فإن قلت** فما معنى قول
موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه
ذلك إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك
وهذا خبر قد أنبأ الله عنه أنه ليس كذلك فاعلم أنه قد وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان جوابه
على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على
ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك
فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما
لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى

وعلمناه

وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء إنكار
هذا القول عليه لأنه لم يرد العلم إليه كما قالت الملائكة لا علم لنا إلا
ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعا وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم
يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك لما تضمنه من
مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى
وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها
إلا من عصمه الله فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه
السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا
الحديث إحدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا
يكون الولي أعلم من النبي • وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن
يكون فعله بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى عليه
السلام نبي غيره إلا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا
يعول عليه وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي
قضايا معينة لم يحتج إلى إثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان

هذا وقع في كتب بعض الأصول وفيه تعقيد وصوابه لأن الضمير
المضاف إليه الفعل عائد على [illegible] على الخضر والضمير المجرور
يعني عائد إلى الحديث السابق وليس فيه أن الخضر قال
أنا أعلم من موسى ويكون الضمير المضاف [illegible]
إنه أعلم منه [illegible] بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك
[illegible]

موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى
وقال آخر انما الجئ موسى للخضر للتاديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال

ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام
ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي
ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان
الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة
مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم
على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى
الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد
الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم

من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما
عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة الباري تعالى في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال
القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا
على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي
ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين
ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك
بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت
الازراء بالدين والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا
لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه
والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى
الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم
الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة

على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من
غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول
الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك
ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من
الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم
يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او
الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية
لاسيما من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد
هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت
عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره

ثم تجويز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل واذ الحظر والندب على الاقتداء بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع
واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل
وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار
في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله
واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل
منهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره
بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل

هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم إنما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة

فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج

القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر رحمه الله إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إنه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصممه ثم اختلفت هذه المعينة في من كان يتبع فقيل نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر

وابعد هما من اهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف حمله ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من
جا بعدهما اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح انه لم تكن
لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله ان
اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فتحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد لقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله
تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها
فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا
فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا
او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول
بلا مرية واما من مال الى النقل فايثما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساق حجته
في كل نبي ... **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه

من

من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبيا	تعلق
في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا ثم ذلك على نوعين
ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول	في هذا الباب صح
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في هذا القول وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه قصدا او
سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو
هذه العوارض عليها توجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن



احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق
وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال
البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما
تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلا

لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات
القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هاهنا في حقه عليه
السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان
القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل
ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق
الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات
الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار
والاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي

فاستغفر

فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم
في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام

قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز
فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي
الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه
الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح
من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة احاديث
اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة
في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي
قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس

[illegible] هو عبد الله بن مالك [illegible] بحينة [illegible] ش

وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل
في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال
عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني
وقال رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى
أنسيتهن وقال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل هذا اللفظ
شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن وذهب
ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا
أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد أني أنسى
في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن
الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين
إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر
وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة
وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه
السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا

كنت

بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت
طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه عليه السلام
كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد
لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في
قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسى
وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال إنما أنا
بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا
وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة
لهاتين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى
خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل إن
الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها

الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له **فان قلت** فما تقول في نومه عليه السلام
عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي **فاعلم**
ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه
وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره
خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله
قبض ارواحنا وقول بلال ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا
انما يكون منه لامر يريده الله عز وجل من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد لمن يكون بعدكم
الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي
انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا
يتوضا **وحديث** ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا **وقيل** لا ينام

قلبه

قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه
عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب **وقد** قال عليه السلام ان الله
قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا
عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في
الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر
لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل
بلالا بمراعاته او ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام نهيه
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت انسيتها **فاعلم** اكرمك الله انه لا تعارض في هذه
الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من
القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو
ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال
فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب
ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه

وانسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما
امر بلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز
ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كره ويجوز ان ينسيه منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه ؞

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر

والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على
الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين ٥
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف
وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم
يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على
خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في

النظر

في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى ؞ وما
قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا
انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما
ذكر من قصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وكقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم
اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه
السلام وذكر الانبياء ذنوبهم في الموقف في حديث الشفاعة وقوله
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله ؞ وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله

وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا
تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وقد كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا
سليمان إلى ما أشبه هذه من الظواهر فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك
بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام وقيل
المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
هاهنا هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول
وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك

الله

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب
أن لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب وأما قوله
ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه
أنه حفظ قبل النبوة منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى
شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك
ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى أنقض أي كاد
ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته
من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل

بلغ [illegible] المقابلة [illegible]

عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بما استحفظه
من وحيه **واما قوله** عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه
معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن
لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم
ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه عن القشيري قال وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا
الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي
هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان
معناه عافاك الله **واما قوله** في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان

ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل
فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن
اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس
المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع
الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو **ثم قال تعالى**
لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها
لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب
السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا
وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال
لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل
له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان

بكسر العين المهملة وسكون اللام في الصحاح
وعلا في الشرف بالكسر يعلى علاء وتعالى
ايضا علا بالفتح يعلا منع عليه الناس
وهو جمع رجل علي اي شريف رفيع شبه
رضيه ش

عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفدا على ان يقتل منهم عاما
المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم
لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار
الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله
لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا
لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما
لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك
وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الاية ان تاويله

وافق

وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في
سرية[2] عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه
فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل[3] بدر بازيد من عام فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة
وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم
امر بدر وكثرة اساراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه **واما قوله** عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات
ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى لو كان كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله عز وجل
وتبليغا له واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام **واما قصة ادم**

[2] هذه السرية كانت في رجب من السنة الثانية وكان مع عبد الله ثمانية رهط من المهاجرين ولم يكن معه من الانصار احد ش

[3] قيل بل كلاهما في سنة واحدة تلك في رجب وبدر في رمضان ش

من جامع

عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين وقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه عليه بالمعصية
بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر
بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال
ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو
لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي
الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا
لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا
يحلف بالله كاذبا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن
جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال لم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين على
أن العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه
ضعف لأن الله وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي
والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه

حانثا

يمكن

يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء
والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة
التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل
إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله لم ينهه
عنها نهي تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال
فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة
فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله تعالى
وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس
نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل
إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل وعدهم
العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل
كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
إلا على قول مرغوب عنه وقوله أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد

بلغ [illegible]

واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشي في غير موضعه فهذا
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح
بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف
الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا
اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى
ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله
بعض المفسرين ولم ينص الله على شي من ذلك ولا ورد في ذلك حديث صحيح والذي
نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه
اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل
لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته
وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر

اوريا بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وبعدها مثناة تحتية وبعدها الف ممدودة

منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف
في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من
المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن
بنبي محبة قتل مسلم **واما قصة يوسف عليه السلام واخوته**
فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام
على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا
به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد
هذا والله اعلم **واما** قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا
يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما مذهب المحققين من الفقهاء
والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون

عن ربه ع

ان شاء الله هم يوسف من هذا او يكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما
ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا
ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل
هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته عليه السلام وقد
ذكر بعضهم ان النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى ما زال
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه **واما خبر
موسى عليه السلام** مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من
عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله
انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا

معصية

معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي
قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله
تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في
هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك
وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت
الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما
بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك
ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها
الحديث ليس فيه حجة تحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب
له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ
انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله

انه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير
من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل
إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا نفسي
في سبيل الله قال اصحاب المعاني الشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين
عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من
الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب
بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض

ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
إن شاء الله فعليه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها
وذلك بتقدير الله لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل سليمان هذا غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك ما ذكره المفسرون
ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله فضيلة
وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه
وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء
الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا **واما
قصة نوح عليه السلام** فظاهر العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر
اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عليه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده

نجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق
هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما
حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا
يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم
يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة
فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم
تسبح فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة
وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله ألا ترى أن هذا
النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية بل
ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا
أمر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة

والاستغفار منه والله أعلم

فصل فإن قلت

فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله وإياك أن درجة
الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة
بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها
ثم أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على
وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون
وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال
طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من
الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس
رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم

وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي يرونها بالنسبة الى علو احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك
والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة
وترك • وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل
وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا
يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسى
يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك
فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبيا
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم

في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب • وقد قال المحتج للفرقة الاولى
على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا يواخذون بهذا مما لا يواخذ به
غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم ايضا
في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك
المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون بذلك
في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك
اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا
له الريح الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبيا في
الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه
وايضا فلينبه غيرهم من البشر او ممن ليس في درجتهم بمواخذتهم بذلك
فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال

ابن عطا لم يكن بما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم
تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة الانبياء
من الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا
فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي
مغفورة لهم لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو
والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم
وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن
من المواخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني
اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي **قال** الحرث بن اسد خوف الملايكة
والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى
بهم ويستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر
لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله

يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الانبياء والرسل الاستغفار
والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه
معنى التوبة وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر الله له ما
تقدم وتاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية
وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل

قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من
عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم
بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا
ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل
النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة
السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم

عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في
بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما
احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم في العروق واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا
هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من
فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي
ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبتني عليها مسائل
من الفقه لا تتعدد ويتخلص بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولابد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول فيه وفائدة ثالثة يحتاج
اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور
ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف
كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح
فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف العلما ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل

في القول في عصمة الملائكة

اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان
حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه
وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في
غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما

وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الآية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام
بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحو من السمعيات وذهبت
طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء
ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين
الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع
عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض
شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول
ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوايد التي ذكرناها
سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما
احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر
فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في وابن سلام
خبرهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم
ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يوخذ بقياس

والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف
غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله واختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا
وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان
من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال
الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا
بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما
فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن
ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل

فيهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان
من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في
تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس
قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما
جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان ٥
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه وقال الحسن هاروت وماروت
علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا
على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال
الملكان هما داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل
كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر
اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون

وكرام

وكرام بررة لا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة
ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه
استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل
الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة
في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان
خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا
فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا
اصل لها تردها صحاح الاخبار ولا يشتغل بها ٥

الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وساير الانبيا والرسل
من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات
والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر

وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة
إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله على أهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعيا والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم
وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات
البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منها فقتلوا
قتلا ورموا في النار ووشروا بالمياشير ومنهم من وقاه الله ذلك في
بعض الأوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم
يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور
وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من
سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا

بتثليث السين والأفصح فتحها ويليه الضم

سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه
المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على أيديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم
ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين
وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى
والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلم
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت
يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر
أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل
ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه
وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في

أي الجوع أي ضعفت ش

بعض الآثار أنه كان محروساً من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان
كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك
وأنه بخلافهم لقوله إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به
كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

الوصب وجع الدائم ... المرض ش

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سحر
كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن إسمعيل قال حدثنا أبو أسامة عن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه
ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى حتى إنه كان يخيل إليه
أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر
على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو

معصوم

أي الملبسة الزيغ ن صح

معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه
وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها
إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل
في أمره لبساً وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه
كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه
كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في شيء من صدقه لقيام الدليل
والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر
دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي
عنه كما كان وأيضاً فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى
يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون
من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر
أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن
المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد

صحته فيكون اعتقاده كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما
وقفنا عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث
تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث
وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في
بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على
ما صنعوا فاستخرجه من البير وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو نايم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد
الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى
انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في
بصره وحبسه عن وطي نسايه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله
ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء

فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من
اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون
من السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشي
وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه
في بصره وضعف نظره لا لشي طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما
ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض
انسا

فصل هذه حاله في جسمه

فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشي على وجه ويظهر خلافه او
يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين
ابن العاصي وغير واحد سماعا وقراة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر
قال حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفين
حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري
قالوا حدثنا النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة حدثنا ابو النجاشي قال حدثنا

رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر
وفي رواية أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا
فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق
وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما
قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله
من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحق
أنه عليه السلام لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا
منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة
قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى
نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا
يشربون فقال أشرت بالرأي ففعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم

في الأمر وأراد مصالحة عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار
فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا
مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه
إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها
من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون
القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة
الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر
وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بأمور الدنيا
ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه
في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم

ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه
السلام إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن
بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه

بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه أبو الوليد حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد رحمه الله
حدثنا أبو بكر حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفين عن هشام بن
عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن
يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء أطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم
بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة
ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه
وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة
سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من
قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية
لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من

سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين
قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته
إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول
وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر
فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول فيعلمه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا
يفصم عروة من عصمته

فصل

وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره
وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل
حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا في ما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها

منه في الامور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته
وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وكقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينيه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة
وكل انسان بعينيه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا
حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة
الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان
يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف يمكن ان تكون له خيانة
قلب **فان قلت** فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله الآية
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما
ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير

عن علي

عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من
ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله
واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه
ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها **وروى** نحوه عمرو بن فايد
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها
ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه
عليه السلام مما كان اعلمه به الله تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل على انه لم يكن عليه
حرج في الامر **قال الطبري** ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من
النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها
من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان
فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة

الدنيا ولكان هذا النفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الا تقيا
فكيف سيد الانبياء وقال القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام
وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه
وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقال لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر
النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في
نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه
فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على
المومنين حرج في ازواج ادعيايهم • وقد قيل كان امره لزيد بامساكها
قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة
واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه

للحسن ونظره الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلايل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم في ما احله له كما عتبه على مراعاة مرضات ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله
له ها هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الاية لما فيها من
عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت

قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح
منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا
جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته
عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا

القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر قال حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو
إسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن
ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال
بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي
رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له
أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه
إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى
أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية فاختلف أهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي
صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من
شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول

اثنا

اثنا ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان
أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر
تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا
يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
في حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
ألف الاستفهام والتقدير أهجر وأن تحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة
وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه
حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد
أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله
يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقال

يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم
تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال
استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب
راي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه
وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر
ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق
بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقوله عليه السلام اوصيكم

بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض
لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء
الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى معنى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر
به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي
ذكرناها واستدل في هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا
وقال والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير
اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما
طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه
ابو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو
سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة وفي
رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة في رواية ليس لها بأهل وفي رواية
فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة
ورحمة **وكيف** يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب
من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله **فاعلم** شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس
لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما
قال وللحكمة التي ذكرنا فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه
بما اقتضاه عنده ظاهر أمره ثم دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله تعالى بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته
أن يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلام
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب

بخلاف ظاهره

حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته
بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين
المعاقبة فيه أو العفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم
أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله • وقد يحمل على ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما
جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا
أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته **وقد** ورد في صفته
في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن
سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول وكان يقول لأحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق عليه السلام
من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك
للمقول له زكاة ورحمة وقربة **وقد** يكون ذلك منه في حق المدعو عليه تأنيسا له لئلا يلحقه
من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية

فتوارى عنه في باب بعيد الأرض ه

قال الإمام مسلم وفي رواية لعائشة ه ش

الحديث صحيح مسلم عن ابن عباس قال كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب فجاء فحطأني حطأة وقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا أشبع الله بطنه ه ش

ويسمى هذا المعتبة نكرها ه ش

ذلك اشتغال علي

لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في
الحديث الآخر . ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان
قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين
تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في
هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا
الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه .
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث . باب
اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في
آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد
جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي

وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني
فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في
حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال
الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق
اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه انما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم

يرد بضربه بالقضيب لا بتشهيه فلما كان منه إجاع لم يقصده طلب التحلل
منه على ما قدمناه.

فصل وأما أفعاله عليه السلام

الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو أو الغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله
على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته ما يقيم
رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند
أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال
ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره
الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل
ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أحواله

بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا
مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا
منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا وقد يفعل هذا في الأمور
الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا
يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة
لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك
متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان
قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم. ويفعل الفعل ثم يتركه
لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو
من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي
ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن
من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت

في ملابه حتى لا يند منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير
ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك
مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين **فان قلت** فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال
ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف
ما يبطن ويقول في ظهره ما قال **فالجواب** ان فعله عليه السلام كان
استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام
بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا
الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان
يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي
وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه
لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما

وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة
بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود **فان قيل** فما معنى المشكل الوارد في حديث بريرة من
قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان
يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط
ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط
لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل
حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش
والخديعة **فاعلم** اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما
يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق
الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى
اولئك لهم اللعنة وقال وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك
ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء

ع بنت صفوان قيل كانت قبطية وقيل حبشية

لأنفسهم قبل ذلك **ووجه** ثانٍ أن قوله عليه السلام اشترطي لهم الولا
ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم
بعد بيان النبي لهم قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي
فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه
وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه **فإن قيل** فما معنى فعل يوسف
عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى
على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم** أكرمك
الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية
فإذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف كان
أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة عنه

بذلك وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله إن حسن له التأويل كان من كان
ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له
وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب
الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل**
فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى
غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء
وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه
وأصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون
وليبلوكم أيكم أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وليعلم الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة
في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم

والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لتصابرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويتشددوا
بهم في الصبر ومحو لهنات صدرت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد
عن زيد بن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول
الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن
ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما
عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى
يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه

وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد
كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب
بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل
اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم
جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما
جدار ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على
يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه
في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله
ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة
اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض
والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت

الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد
ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق ان اضع
يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبيا
يضاعف لنا البلا ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي
ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس
عنه صلى الله عليه وسلم ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون
في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له
كفارة وروى هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه
السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة
تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها • وقال في رواية
ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى

ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها عنه خطاياه وفي حديث
ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال
الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن
مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا او هكذا وفي رواية ابي هريرة من
حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا
بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه
ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله
منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح
الله عن المؤمن رياح البلاء يا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه

منتظرا لرحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض
الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من
الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها
وضعفها بتوالى المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله
ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد
عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما
وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدايه كما قال تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة الاية ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على
غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث
ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اى الغضب يريد موت
الفجاة **وحكمة ثالثة** ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء

ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه متعلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى ومن قبل العباد ويؤدي
الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر
يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طلب
التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه
وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب
كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليا
المتقين وهذا كله يحرمه الكفار غالبا لامهال الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه
كان على غضب المحروم من حرم وصيته **وقال** موت الفجاة راحة
للمومن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المومن وهو

غائبا مستجدٌّ له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته
من نصب الدنيا وأذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه
ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة
مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره
شيء له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب
والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما
يتعين له من بر وتوقير وإكرام وتعظيم وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه

في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى
إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم
عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال الله تعالى
وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا
إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين الآية وذلك
أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا ويعرضون
بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل
بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا
يرعونه إلا برعايتهم لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال
وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل نادى يا ابا القسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني
بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون
والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا
انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها والذي ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من
ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما
كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته يا ابا القسم
بعضهم في بعض الاحوال وقد روي عنه عليه السلام ما يدل على كراهة
التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه

السلام

السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه
بابي القسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي
الله عنه وقد اخبر ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام
في هذا القسم على بابين كما قدمنا

عليه السلام

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص

اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه
او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء
عليه والتصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه
حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا المقصد ولا
نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى
مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته
العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما
جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن

الباب الاول

الصحابة رضي الله عنهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك
ابن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي
ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته
عند هولاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة
والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن
مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى
الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في
استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد
الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد
الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال
محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر
والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره

رضوان الله عليهم

وعذابه فقد كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى
الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القسم في العتبية او شتمه
او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد
فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير
في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعت
مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه
او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال
اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال

عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى
الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل • وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على
ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا
استتابة • وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع
قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه
ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم
الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اسود يقتل • وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله
فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله

وثواب ذلك • قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح
لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجب اباحة دمه • وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد
واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل
وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي
وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه في اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو
قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له
القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب
منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس
وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر

حديثاً عنه عليه السلام أنه قال لا يبلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد الله
ابن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل
لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين
من عصمته. وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال
فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة. وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً
وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم
قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره
برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة
لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم
هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
ويأتي ما يدل عليه.

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة. وقرانه تعالى أذاه بأذاه

ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر
القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية. وقال في قاتل المؤمن
مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا. وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد
يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أنى يؤفكون
أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون
القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم
الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض
هذا. وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا
تجهروا إلى قوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا يحبط العمل إلا الكفر
والكافر يقتل. وقال تعالى وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير. وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله

قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة حدثنا أبو الحسن الدارقطني
وأبو عمر بن حيوية حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي
ابن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه. وفي الحديث الصحيح أمر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي
الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل
أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه. وكذلك
أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه
السلام وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله. وكذلك قتل جماعة
ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط

وعهد

وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل
القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا
معاشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه
فقتله الزبير. وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أيضا أن
رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه. وروى
ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي
يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. وبلغ
المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في
الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر
ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى

الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له
ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فينهاها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة
جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا
عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير
واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من
اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن
ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب
عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس
الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها

من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد
من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع
وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه او تنقصه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي
وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتله
حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا
فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة

الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير، وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به إن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه
قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن
لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يجلد
فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على
غيره.

فصل فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه
وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي
قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه
وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يتألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه
ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا

تنفروا

تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم
ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
والإحسان وبذلك أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة
منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس في التألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهره
الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به
ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة، وكذلك
هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
آذاه حتى ألقوا بأيديهم إليه ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه
عليه السلام على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل
منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله

بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا
ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزرا واعوان وحماة وانصار
كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدما
لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد
بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه
فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد

والجوار

والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة
سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول
ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل
انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك
ابن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد
قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم
ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط

عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت
ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه
الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم
ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم
يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب
ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل
المراد تسأمون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي
أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا ليس هذا بتعريض بالسب
وإنما هو تعريض بالأذى **قال القاضي أبو الفضل** قد قدمنا
أن الأذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا
اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر
المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف

والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما
ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره
وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله وأذن له في قتل من حينه
منهم وإنزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم
الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم
بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم **فإن قلت** فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه
عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله
فينتقم لله **فاعلم** أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو
كذبه فإن هذه من حرمات الله التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له
منه فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم
يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل
أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه
وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها

خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح
عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجا
استيلافهم واستيلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازرا به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه

الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلا وهو ان يكون القايل لما قال في جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والازرا ولا معتقد له ولكنه تكلم في
جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان
ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس
او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او تكذيب بما
اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد

خبره او ياتي بسفه من القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته
وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته
على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه
وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشي مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمين
بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون في علي بن حاتم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور يسب
النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه
يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف
والقتل وساير الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من
زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث

حمية وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف
النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث
من النوم وشرب الدواء المأمون ؛

فصل

الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او
اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك
الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان
كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان
كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه

كالمرتد وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر
بكتاب الله مع الفرية على الله • وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل
الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل ولانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر
على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من
شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال
من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الائمة القتل • وقال
احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود
قتل لم يكن عليه السلام باسود ، وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال
انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا
نفي قال محمد بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه
الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة ؛

فصل

الوجه الرابع ان ياتي بمجمل من
الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أيمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم وقال أبو إسحق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملايكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل قول الآخر له صل على النبي إذ إنما أخذه بعد إذ عند غضبه هذا معنى قول سحنون

وهو

وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا القول إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إمعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرايل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة

ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف
خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا
العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع
إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب
فيه ولو علم أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل. وقد يضيق
القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين
منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله
أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في
المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه
منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني
فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحق بن جعفر
يرى قتله لبشاعة اللفظ وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل
لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار. وأفتى فيها
قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا. وشدد القاضي أبو محمد تصفيده
وأطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة

ظاهر

بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن
عيسى أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه
برجله وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك لفيف من الناس فأمر
به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي
الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه.

فصل

الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا

سبا لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه
السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على
التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره أو على سبيل التمثيل وعدم
التوقير لنبيه عليه السلام أو قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
إن قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم أو إن كذبت فقد كذب
الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم
يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل
أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على أكثر مما صبرت

هاتر أي واقعه في القول من الفحش وهو الباطل والسقط من الكلام. ش

أي جمع من الناس من قبيل شتى. ش

الهضيمة أن يتهضمك القوم شيئا أي يظلمونك إياه. ش

غضاضة أي ذلة ومنقصة

هو ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفي الكوفي ولد سنة ثلث وثلثمائة [illegible] قتل [illegible] سنة اربع وخمسين وثلثمائة [illegible] ش

وكقول المتنبي: أنا في أمة تداركها الله ❊ غريب كصالح في ثمود ❊ ونحوه

من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

هو ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان توفي سنة تسع واربعين واربع مائة بالمعرة ش

❊ كنت موسى وافته بنت شعيب ❊ غير أن ليس فيكما من فقير ❊

على أن آخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام

وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

❊ لولا انقطاع الوحي بعد محمد ❊ قلنا محمد من أبيه بديل ❊

❊ هو مثله في الفضل إلا أنه ❊ لم يأته برسالة جبريل ❊ فصدر

البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي بالنبي والعجز يحتمل لوجهين أحدهما

أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ونحو منه

نقصت

قول الآخر ❊ وإذا ما رفعت راياته ❊ صفقت بين جناحي جبرين ❊

وقول الآخر من أهل العصر ❊ فر من الخلد واستجار بنا ❊

فصبر الله قلب رضوان ❊ وكقول حسان المصيصي من شعراء

الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون

❊ كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ❊ وحسان حسان وأنت محمد ❊ هذا

وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير

من

هو ابن هانئ الاندلسي [illegible] ش

[illegible] ش

من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم

بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا

وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا

٣ ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما

إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن

الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن

لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي

بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة

ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في

كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه

أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم

توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ

عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح

ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما

سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد

هو ابو القاسم محمد الشاعر المشهور شاعر المغرب كالمتنبي للمشرق توفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة [illegible] ش

على أبي نواس قوله: فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب
وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر القتبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب
قوله في محمد الأمين: تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان. وقد أنكروا عليه أيضا قوله
كيف لا يدنيك من أمل ... من رسول الله من نفره. لأن
حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف
إليه ولا يضاف فالحكم في مثل هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج
جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من
رواية أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن
يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى

على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا
له وتعظيما كما أمرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه
نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا
ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه
من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد
لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر
من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه
لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي
له التعريض لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه
لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له
الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله

وكفّر الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو العباس
اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع
ادبه اذا لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل الوجه السادس

ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره
وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار

والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله
وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما
قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد
قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان
ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء يعظ ٤
ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه
وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى
الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق
النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى
حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق
وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب

في كبير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على حال المتهم في الحديث
فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق
الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد
وكذلك إن علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب
فليشهد ويلزمه ذلك. واما الاباحة لحكاية غير هذين المقصدين فلا
ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما للاغراض
المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم
والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في
أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف
والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات المفترين عليه وعلى رسله في
كتابه على وجه الانكار الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا
على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق

من الوجوه السابقة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث
الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما
حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض
الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب
اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك
كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله
وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك
عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او
التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم
الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل

الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القسم بن سلام ومن حفظ شطر بيت مما
هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته
وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة
الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم بن سلام رحمه الله
قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه
فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه
وسلم

فصل الوجه السابع
ان يذكر ما يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم

او يختلف في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية به ويمكن اضافتها
اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه
واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر

عليه

عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه
الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء
طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من
عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى
عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف
من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك
للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله لهم الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله

قبله وعظيم منن الله عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب من ناواه
من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واشتاتهم
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او
ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في اباءه من ملك ثم قال
ولو كان في اباءه من ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في
كتاب ارميا وكذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب
وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي
متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من
ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر وليس فيه

ذلك

ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن
الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته
زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها
وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد
شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه
وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد
من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم بحال او يحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب
ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا

فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث
بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من
السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل
والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على
وجهه وتصرفهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم
من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به
ومنهم من كفر. فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها
شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على
معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف
بأنها ضعيفة المفاد واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر
ابن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا

أصلها

يلبسون أي يخلطون ش

أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها. إذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها. وطرحها أكشف للبس
وأشفى للنفس.

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز

والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم
أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من
توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب
عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه
والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله
وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب
بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف
ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وإذا تكلم على التعليم قال هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن ألا يكون
عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي
ومواقعة الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل
كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب
له من تعزير وإعظام • وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح
منه هذا ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله
لأجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله
فإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح
الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال عليه
السلام إن من البيان لسحرا • فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا
حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر

عليهم

تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان
بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها قول عداه
ومن كفر بآياته وافترى عليها الكذب وكان يخفض بها صوته إعظاما لربه
وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر •

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي رحمه الله قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه
وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء
قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عنده توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر
في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على
قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد لا تسقطه التوبة كسائر الحدود

مقالة

تخيير

قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر
التوبة قتل بالسب لانه هو حده **وقال** ابو محمد بن ابي زيد في مثله واما ما
بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل
وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان
يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك
ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا
على باطنه بخلاف من اسرته البينة • قال القاضي ابو الفضل وهذا قول
اصبغ • ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها
الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي ولامته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين • والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند
مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل • واختلف فيه
عن ابي حنيفة وابي يوسف **وحكى** ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه يستتاب • قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من

من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر **وقال**
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر
جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن
جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه
لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه حق لادمي فكان
كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرها • ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى
تعظيم حرمته • وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة • **قال القاضي**
ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازرا
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه • وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على

حرمته

القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل • واما على رواية الوليد بن
مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد
صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فيحكم له بحكم
المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول
ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه
فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر
عليه وانكر او تاب **فان قيل** فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها **قلنا**
نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد
والنبوة وانكاره ما شهد عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية
وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض الكفر على بعض الاشخاص
وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا
لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه

كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم
يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق

وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
ان المرتد يستتاب • وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب
قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي
والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي • وذهب طاوس وعبيد بن عمير

والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي
سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي
يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا القتل
عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في
الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة
في ذلك سوا وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله
عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة
قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سوا واما مدتها
فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف
فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك
وقال مالك لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال
الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي
آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا
قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي

وروي

وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب
فقتلها وقاله الشافعي رضي الله عنه مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب
ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت
عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب
ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام
بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام
وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف
بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا
استوثق منه سوا ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه
وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب

[illegible]

أبداً كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله ابن القسم وقال إسحق يقتل في
الرابعة وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب
ضرب ضرباً وجيعاً ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة • قال ابن
المنذر ولا نعلم أحداً أوجب على المرتد في المرة الأولى أدباً إذا رجع وهو على
مذهب مالك والشافعي والكوفي •

فصل

هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم

فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو
ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحاً وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته
فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة
في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا
يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه

أمره

أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية
وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان
عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
قال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل
لم ينبغ أن يطلق من السجن ولا يستطال سجنه أي لا يستكثر ولو كان فيه
من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن
أشكل عليه أمره يشد في القيود شداً ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما
يجب عليه • وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح
وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما
إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما أسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد
عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما
بعداوة أو نحوه وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم

بفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة الفوقية

هنا في تكفيره موضع اجتهاد والله ولي السداد وبه التوفيق

فصل هذا حكم المسلم

فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه
الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة
أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما
من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم
الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه
العهد ولا الذمة فقد نقضوا الذمة وصاروا أهل حرب يقتلون لكفرهم [ذمتهم]
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى
الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد

دمی

وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه
ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا
سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا
رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ
قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء
وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه
من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فألا نقبل توبة الكافر أولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم
السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون

وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة ، وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر ، وقد روى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القسم في ذمي انه قال للنبي صلى ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شي عليهم لان الله تعالى اقرهم
على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما
هو شي تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القسم واذا قال النصراني
ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير او نحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب
الموجع والسجن الطويل ، قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما
يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن
القسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سوالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة

سالم

الموجعة مع السجن الطويل ، وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم
الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه
الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي
صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذا اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا اهل
الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك
ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من
القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم
فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال
والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب
وسيل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل ، وقال ابن

مزبلة بفتح الميم وتثليث الموحدة

القسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد
يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة ماله لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب
تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب
عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني
فيها الصمت • قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق
جثته وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك
من مصر وذكر مسألة ابن القسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن
يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار
فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة
في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها ودرء الحد عنها [القتل]
به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القسم
ابن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب

وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه بإسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي
إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم هو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره
أم هل يسقط الحد بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله •

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه
لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا بذلك وإن كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر
من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء •

وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه
ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار • وقول الشيخ ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على
قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من
المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في
ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا
خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل
عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه • وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن
حبيب فيمن كذب برسول الله او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان
ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته

وبه قال

... عبد الرحمن ... ابي عبيد الرحمن ...
[illegible]

ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي
وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته
من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة
وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم في العتبية الى انه
ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات
ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل

هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا
معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه

لا خلاف
ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم
عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم
يستتب الا ان يكون افترا على الله تعالى بارتداده الى دين دان به واظهره
فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب • وقال في المبسوطة مطرف وعبد
الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب
حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم
وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي
حكاه القاضي ابن نصر من المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي

عنه

عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل
لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسالة هرون بن حبيب اخي عبد
الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو
قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله
وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح ٥
وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة
في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله
تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى
فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين آخر
من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد
له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته

وإذا انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد
أعلم أنه قد خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم
هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك
وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل**

وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به
ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر

ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة
من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا
في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما
اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين
توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك
ابن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون

فإن

فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية
والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله
يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط في
الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء
وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال إن الله لم يكلم
موسى تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد
روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في نكاح القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى
ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء بيده أو سمع أو بصر
قطع ذلك منه لأنه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القرآن

مخلوق كافر فاقتلوه، وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يموت، وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل
توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن
عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك
والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن
عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم
وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر
والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر
ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال

اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى
الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل
في تحقيق القول في اكفار المتاولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه
قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من
صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقال هم فساق
عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن
كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب

آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده واختلف قول مالك
في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه • وإلى نحو من هذا ذهب القاضي
أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا
باسم الكفر وإنما قالوا أقولا يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على
نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على
رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على
ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال أيضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك
التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري
وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
تعالى • وقال مرة من اعتقد أن الله تعالى جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر • ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله
في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط
فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل

فان

فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر
أهون من الخطأ في سفك محجمة من مسلم واحد وقد قال عليه السلام
فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا
بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب
معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في
الإسلام وتسميته الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج ج
وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها
بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الزنا وعقوق الوالدين والزوج
والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا
بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من
يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم

بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم هاهنا حدٌّ لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل جملة لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره
ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله
يصلي فإن احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر
أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم
من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق
الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه الآخرون أن
معنى ذلك لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له
صدورهم ولا تعمل به جوارحهم ويعارضونهم بقوله ويتمارى في الفوق
وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا
الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة
ولم يقل منها وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون
بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحًا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي
هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة
وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي سيكون من أمتي وحروف المعاني

مشتركة

مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن
أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما
يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم
ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال
أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيهًا لله بخلقه وتجويرًا له في
فعله وتكذيبًا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئًا قديمًا لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما
هو من أوصاف الله فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن
لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى
تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق
في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ
فيه آثم عاصٍ فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني
مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك

من أهل الظاهر صح

في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا
او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحا
في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم
او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من
كافر

التوقيف

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او
الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر
فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين

او الشمس والنجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله
ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او
ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان
معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته وحلوله في
احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك
نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض
الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في
الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها او خبثها وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من

وكذلك

فيها

من الروافض الزاعمين أن عليًا كان المبعوث إليه جبريل بالرسالة وكالمعطلة
والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد
أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى بذلك
المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع المسلمين كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر
الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة
والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها
وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور
أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب وكذلك من أضاف إلى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه
وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد
من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيًا أو حاربه فهو كافر بإجماع
وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من
الحيوان نذيرًا ونبيًا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله

تعالى

تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء
هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله **وكذلك** نكفر
من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن
قال أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس هو بقرشي
لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر
الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة
لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة
أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلم

العيسوية فرقة من اليهود [illegible] إنه خاتم [illegible]

الخرمية بالخاء المعجمة المضمومة في الصحاح خرّم [illegible] وهم أصحاب التناسخ والإباحة

البزيغية بالزاي المكسورة والغين المعجمة نسبة إلى بزيغ والبيانية نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي النهدي قال إن روح الله حلت في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان

أخبر انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل
كافة الى الناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد
به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا
وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص
حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او
شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل
مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة
ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه
عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
يعلم

وصلى

وصلى على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا
يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها
بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا
من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد
علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك
نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر
وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا
في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا
اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد
وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى
تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث
والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة

وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شي
لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او
المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة
كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة
والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي
صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية
في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فلا نجد بينهم
خلافا فكانه عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور
كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة التي
صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها
وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى
الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي
صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم
كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر له بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل

ظاهره

ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز
على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول
عليه السلام وفعله وتفسير مراد الله تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او
ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل
على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم
ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون
في ساير معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص
فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه
العلم به او لتجويز الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب

الصيمري

القرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك
من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع
للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم
ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم ان الايمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة
من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان
او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد فضيلة فلا سبيل
الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة
كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره

بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار
في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد
شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير
من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف
الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير
من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع
لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم به خارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان
بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو
الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا
يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما يقارنه من الكفر والكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها

الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او
يجمع المسلمون انه لا يكون الا من كافر كالسجود الى الصنم والمشي الى
الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول
او الفعل لا يمكن العلم معه بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا
بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة
له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها
واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر
الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى
ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد
ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان
مقالته حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم

ان ما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية
فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل
في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع
عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها او قيل انما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما
استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل بل
هذا من مجاز كلام العرب التي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى
تجاهل العارف وله امثلة كثيرة في كلامهم كما في قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه
اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم

الا من له علم مكانتهم صرحوا عنه بما ادى اليه قولهم وهكذا اعتقد هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونحن نعتقد وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الهجر والزجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة

ممن

ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله •

فصل

هذا حكم المسلم الساب واما الذمي فروى عن عبد الله ابن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان

الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال
ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان
يسلم • وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي
كفرت به لله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر من سب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب
نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا
شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا من ذلك فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء
في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه
خرج من كفر الى كفر • وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر
عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافه ما لا يليق بجلاله والهيته

فاما

فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم
بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على
المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم
النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن
قوله وله عن العودة الى كفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته
بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن
معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب
على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة
على سوء الخلق حتى تراض • وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من
ادعى له الالهية • وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي

بفتح الفا وكسرها اي رجوعه ش ن

وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك وأشباههم وأجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام
المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي
الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي
قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن أبي عمر في المبسوط
من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه
أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد
في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد وقاله
سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا
إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي
زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل
بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال
أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله إن تاب أدب فإن عاد

إلى مثل قوله طولت مطالبة الزنديق لأن هذا أكفر المتلاعبين ،
فصل وأما من تكلم من سقط القول
وسخف القول ممن لم يضبط كلامه وأهمل
لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه
وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله عز وجل
من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف
به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته
وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر
فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب
الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه
وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ
موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا

خ اللفظ

ننتصر له إن ناداه العبيد بسوء، وما نحن له بعابدين، وبكى ورفع المجلس إلى
الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول
ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من
صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا
أو إزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة
حال قائلها وشرح سببها ومقارنها، وقد سئل ابن أبي القاسم رحمه الله
عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا
أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل
وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا
نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه

الفصول

الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول
بعض الأعراب، رب العباد ما لنا وما لكا، قد كنت تسقينا فما بدا لكا،
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا، في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم
يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر إلا
من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال
أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الأمور
وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه
في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا وكان
بعض من أدركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعة
وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا إعظاما
لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الفقيه أن الإمام أبا بكر
الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل
الكلام في هذا تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على
الوجوه التي فصلناها والموفق الله

فصل

وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما

أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه
قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
ورسله الآية. وقال الله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل
إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم وقال تعالى كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقال مالك في
كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم
يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى سحنون عن ابن
القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر
فاضرب عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل وقال
القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله تعالى وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي
النوادر عن مالك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن

أبي

أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية
من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب
وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص
أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر
كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال
القاضي أبو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه
على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة
والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة
الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة
ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فأما من لم تثبت الأخبار
بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت
في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان
المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون نبوته

[illegible]

[illegible]

فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال
المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت
نبوته • وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم
في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام
في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم
فكيف للعامة ⁂

فصل

واعلم أن من
استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه
أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية
أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر
أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك
فهو كافر عند أهل العلم بإجماع قال الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله حدثنا أبو علي حدثنا ابن

عبد البر

عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا
أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن شك تؤول بمعنى
الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من
جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد
التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف
بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض
المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله
رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه المنزل على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل
هذا أنه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية
لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل أي لأنه كذب بما فيه وقال
ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن

كفر صح

ابن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله عز
وجل يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذا
ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر
عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمن بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون
ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل
لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال
اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود
من كفر باية من القرآن فقد كفر به كله ومن كفر به قتل وقال اصبغ
ابن ابي الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به
ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له
بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر
انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا
يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان

على لعن التوراة مجردة لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن
مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر
الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال
ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل.

فصل

وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيدة
ابن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا

بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي
صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي حرام فقال لا تؤذوني
في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عايشة وقال
في فاطمة عليها السلام بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلما في
هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال
مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن

حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او
غيرهما يوجع ضربا وحكى محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد
ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال
ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان
كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي
كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء
كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب

عايشة • ومعنى هذا والله أعلم أن الله تعالى لما عظم سبها كما عظم
سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان
حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عايشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن أبي ليلى فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروي
عن عمر بن الخطاب أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد
ابن الأسود فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد
بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن
الخطاب أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه
قال مالك من تنقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في
هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار
ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند

بعض

بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة
في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب أصحابي فاجلدوه
قال ومن قذف أم أحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له
فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام به من
المسلمين كان على الإمام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة
لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه
كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ففيها قولان أحدهما أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب
حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول
وروى أبو مصعب عن مالك من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف
بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة
في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت
إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر
هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل

والفقيه الذي صوّب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
إليه في ذلك ويؤخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه
ويبغض في الله تعالى **قال القاضي أبو الفضل**
هنا انتهى بنا القول فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي
الشرط الذي اشترطناه مما أرجو أن يكون في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل
في أكثر التصانيف مشرع وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفي
بما أرويه عما أرويه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة بقبول ما منه
لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه وأسهرنا
به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه
ووسائله ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه
ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن

تهمم

تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الأول
وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه من
جمعه وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع
فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا ينتصر من خذله ولا
يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتبه بيده الفانية الفقير الضعيف المسكين
أحمد بن مسعود النابلسي عفا الله عنهما بمنه وكرمه
في عام ٨٨٠ من سنة والحمد لله على نعمه التي لا تحصى

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل



189 dan (200) e geldiği işi
10 yk. daha azdır.

6 + 308 yk

القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض
بن محمد بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي كان امام وقته في الحديث وعلومه
والنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها الاكمال
في شرح كتاب مسلم كمل به المعلم في شرح كتاب مسلم للمازري ومنها مشارق الانوار وهو كتاب
مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلثة وهي الموطا والبخاري ومسلم وشرح حديث
ام زرع شرحا مستوفى وله كتاب سماه التنبيهات جمع فيه غرائب وفوائد وبالجملة فكل تواليفه
بديعة ذكره ابو القاسم بن بشكوال في كتاب الصلة فقال دخل الاندلس طالبا للعلم فاخذ
بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده
وهو من اهل التفنن في العلم والذكا واليقظة والفهم واستقضي ببلده
مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل عنها الى قضاء غرناطة فلم يطل امده فيها
وكان مولد القاضي عياض بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست وسبعين واربع مائة
وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل في شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمائة
ودفن بباب ايلان داخل المدينة

وفيات الاعيان لابن خلكان

